عجاج الفرات الأوسط.. بين العلم والأدب

المكتبة.. صومعة المعرفة وذاكرة الأمة؟

الكتاب الأكثر مبيعاً في العالم

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة

العدد: «1821» الأحد 2023/6/4م - 15ذو القعدة1444 هـ — 200 ل.س

كتبها: د. هايل محمد الطالب

اللغة العرجاء في حق الحياة للأدب الشفاهي

تتخذ الكتابة منذ أن اكتشفها الإنسان بعداً قداسياً، يتمحور حول ذاته ويلغي جوانب متعددة من جماليات اللغة الشفاهية، ولو نظرنا في مسيرة الشعر العربي، الذي عُدّ لزمن ليس ببعيد بأبي الفنون، لوجدنا أن المرحلة الشفاهية المتمثلة بالرواية الشعرية قد شكّلت الأرضية الأساسية لهذا الشعر، بغض النظر عمّا اعتراه من تغيرات وتبديلات، بل نحلُ أحياناً، لكن انتقال هذا الأدب إلى صيغته الرسمية؛ أي الكتابية، قد حوّل الأنظار عن تلك المسيرة الشفاهية، فبات الأدب الشفاهي المتمثل في الشعر الشعبي وغيره من الأنماط الفنية كالسيرة الشعبية والزجل والغناء، أدباً من الدرجة الثانية، وإذا أحسن المرء النية قلنا إنه أدب العامة من فئات المجتمع، تنظر إليه فئات كثيرة من المثقفين بتعال واشحاحة وجه، ويتذرّع أصحاب هذه النظرة بحجج كثيرة لعل من أهمها الصراع الأزلي بين العامي والفصيح، وضرورة الدفاع عن اللغة الفصيحة بدحر العامية، وما يتعلّق بها من نتاجات أدبية شفاهية.

لا شك أن الدفاع عن لغة فصيحة تجمع أبناء الأمة، والدفاع عنها هو ضرورة من ضرورات الحفاظ على الهوية الثقافية العربية، ولكن في الآن ذاته ينبغي ألا تُحصر الهوية الثقافية بأسطورة الفصيح، فهذا الفصيح، عبر مسيرته التاريخية الطويلة، هو فصيح مُتعدّد بتعدّد لهجات العرب التي تصل في أحايين كثيرة حد القطيعة، وما اللغة الفصيحة الرسمية إلا لغة الأقوى سياسياً واقتصادياً ودينياً، وهذا ما تمثّل في لغة قريش فكانت لها السيادة، ومن هنا فالهوية هي كينونة مُتّسعة الأبعاد، ومن قصور النظر ردها إلى كوى ضيقة، ومن هنا ينبغي إعادة النظر في دراسة جانب مهم من جوانب الهوية الثقافية، حاضر بقوة في حياتنا، يتمثل في أدب متسع أهمل وما زال يهمل، هو الأدب الشعبي الذي يتخذ أشكالاً متنوعة في مقدمتها الغناء الشعبي، من خلال فك العزلة الرسمية عنه، بتشكيل فرق عمل لجمعه وتصنيفه وحمايته من الضياع؛ إذ إن ذرائع الصراع الذي لم ينته، ولن ينتهي، باتت تحرمنا من قراءات جمالية لأدب مهم يحمل في طياته من الشعرية ما يكاد يتجاوز شعريات كثيرة أنتجتها الحركة الأدبية المكتوبة؛ لأنه باختصار الأدب الذي لا تحتاج الروح إلى لغة مستعارة كي تعبّر عنه، بل هو أدب يعبّر بلغة مباشرة عن تجربة الذات ومصيرها، وبالتالي لا يمكن أن يصنف هذا المنتج على أنه أدب من الدرجة الثانية، بل يمكن الزعم براحة تامة، إن مثل هذه الدراسات ستكون صلة الوصل بين الفصيح والعامي، إذ إن الصراعات الكثيرة والمعارك اللغوية التي أثيرت حول هذه الثنائية لم تعد تشكّل في أحسن الأحوال من تاريخ الصراع العبثي الذي لم يسفر عن شيء، فلا مات العامي، ولم ينتصر الفصيح، ولذلك ربما يكون الأجدى والأمتع والأبقى للفصيح والعامي هو تلك العلاقة التوافقية التي تُسلّم بأن أحد الطرفين لن يلغي الآخر، فيفتح باب دراسة هذا الأدب ونشره، وتأصيل لغته، وعقد المقارنات بينها وهذا ما يحتاج إلى جهود لإقناع ذوي الرأي بأحقيته، كي يُفك الحصار عنها، وتفتح الجامعات أبوابها لدراسته من دون حسابات ومواقف مسبقة، فلا شك أن اللغة طائر يطير بجناحيه العامي والفصيح، واللغة التي تتخلى عن أحد جناحيها، هي لغة عرجاء، فلنساعد لغتنا على الطيران في آفاق جديدة، فهل من مستجيب؟

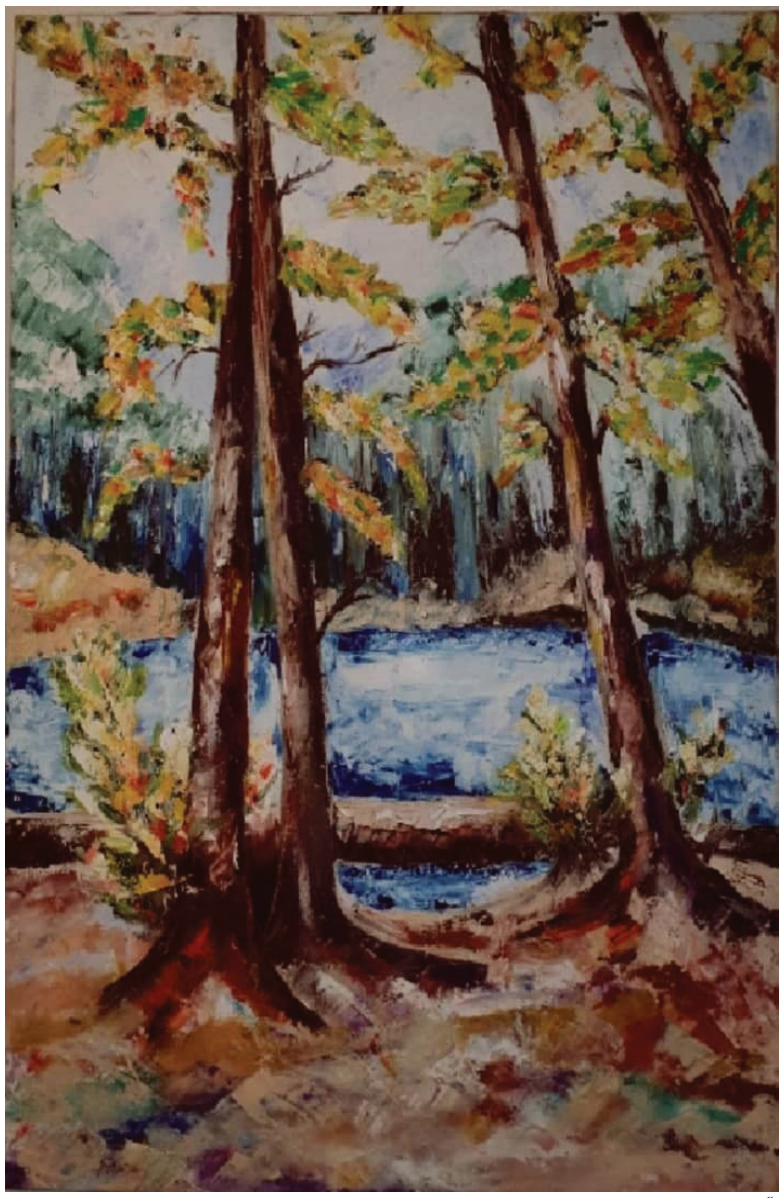

لوحة للفنانة التشكيلية حنان محمد إبراهيم

لوحة للفنان التشكيلي عرفان حمدي

الدولة والسلطة – عندما تهيمن السلطة على الدولة

كتب: د. عدنان عويد

بعد أن قمنا بتعريف الدولة عند تعرضنا لمفهوم الدولة الحديثة، على أنها: في مفهومها العام، هي مجموعة كبيرة من الأفراد، يُمارسون نشاطهم على إقليم جغرافيٍّ محدد، ويخضعون لنظام سياسيّ معين مُتفق عليه بينهم، يتولى شؤون إدارة حياتهم الداخليّة منها والخارجيّة؛ أي تشرف الدولة على أنشطة تمارسها مكونات الدولة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، بهدف تقدم هذه المكونات وازدهارها وتحسين مستوى حياة الأفراد داخل هذه الدولة مادياً وروحياً، فلا بد لنا هنا من التفريق بين الدولة والسلطة (الحكومة)، ومدى التأثير السلبيّ في الدولة والمجتمع الذي تحدثه عمليّة سيطرة السلطة على الدولة وتسخيرها لمصالح قوى حاكمة لها مصالح أنانيّة ضيقة تفردت بالسلطة.

ما زال معظم الشعب، والكثير من المهتمين بالشأن السياسيّ يخلطون بين مفهوم الدولة ومفهوم السلطة التي تحكم وتقود الدولة، ويرون أن السلطة هي نفسها الدولة لا غير، ومثل هذا الخلط والتداخل بين مفهوميّ الدولة والسلطة، في وعي الناس وثقافتهم، هو الذي يدفع بالسلطة إلى أن تكون سلطةً شموليّةً استبداديّة.. أو سلطةً فوق الدولة، وهذا ما تحاول أن تؤكّده وتؤصّله كل سلطة لا يهمها إلا مصالح حواملها الاجتماعيّة أو من تمثلهم هذه الحوامل حزبياً أو طائفياً أو قبلياً أو أسرياً، وليس مصالح الشعب بعموم مكوناته، وهذه الحوامل الاجتماعيّة للسلطة الشموليّة المستبدة، هي من يعمل على نشر هذا التشويش والحيرة الفكريّة، أو التعمية والتجهيل التي تحيط في تحديد مفهوميّ السلطة والدولة، وغالباً ما يرافق هذا الخلط والتشويش والتجهيل، خلط وتشويش وتجهيل آخر يشمل العلاقة بين المجتمع، والجماعة، والأمّة، والشعب والحكومة، إلخ.

إن الدولة في شخصيتها الاعتباريّة، ليست هي السلطة أو الحكومة، بل إن الدولة تتميّز عن السلطة وتتعالى عليها، كما يتعالى المجتمع أو الأمّة على الدولة، وهذه حقيقةٌ سياسيّةٌ تكوّنت منذ ظهور مفهوم الدولة السياسيّة الحديثة في القرن السادس عشر، مع تأكيدنا هنا من «الناحية التاريخيّة والأنثروبولوجيّة» بأنه، كان من الواضح أن فكرة الحكومة وسياستها الداخليّة والخارجيّة – كلاهما قد وجدا قبل الدولة، فالحكومة تستطيع أن توجد بدون الدولة كما هو الحال في سلطة العشيرة والقبيلة والطائفة والحزب... إلخ، ومن النواح «التشريعيّة والقضائيّة والتنفيذيّة» فالحكومة تحمل وتمارس سلطة الدولة، عبر حواملها الاجتماعيّة التي تقوم بتحديد طبيعة وتوجهات النظام السياسيّ القائم، والموقف الأيديولوجيّ الذي يجب أن تسير عليه الدولة ممثلة بمؤسساتها، إن كان هذا النظام اشتراكياً أو ليبرالياً أو دينياً. ولعلّ مهمّة التفرقة أو التمييز بين الدولة والحكومة، هي التي تسمح لنا أن نعرف تلك التغييرات البنيويّة التي تصيب سياسة الدولة عند تغيير الحكومات، بناءً على الموقف الطبقي والأيديولوجي الذي تتبناه هذه الحكومة أو تلك، لذلك نقول: إذا كانت الحكومة كليّاً تعرّف بالدولة أو تتطابق معها، فإن كل إبدال في الحكومة سوف يُحدث أزمةً في بنية الدولة وآلية عمل مؤسساتها، وهذه النقطة ينبغي أيضاً أن تجعلنا متيقظين من مسألة ربط كل ممارسات الحكومة هي ممارسات بالدولة. (١).

وبناءً على هذه المقدمات نقول: بما أن السلطة مسؤولةً عن إدارة الدولة كما بينا أعلاه، فهذا لا يعني أن تهيمن السلطة على الدولة، وأن تمتلك السيادة المطلقة عليها، وهنا تأتي ضرورة معرفتنا، بأن الدولة ممثّلةً في مؤسّساتها تظل في جوهرها كشخصيّة اعتبارية حياديّة طبقياً وأيديولوجياً، لتقوم بدورها الأساس وهو المحافظة على هيبة الدولة، أي في تعاليها على السلطة، وإبراز تميُّزها عنها باعتبارها – أي الدولة – هي السلطة العامّة التي يجب أن تكون فوق السلطة، أي فوق سلطة الحكومة وفوق سلطة الرئيس أو القائد أو الزعيم، هذا في حال كانت الدولة خارج إسار السلطات الشموليّة الاستبداديّة؛ أي تكون دولة الشعب الذي يشكل المرجعيّة الأساس لوجودها وآليّة عملها ومن يمثل الشعب في التحكم بسلطتها.

لا شك أن من أهم وسائل حماية الدولة من سيطرة السلطة أي الحكومة عليها، يأتي مبدأ الفصل بين السلطة والدولة أمراً مبرراً من الناحية المنطقيّة والقانونيّة أي الدستوريّة، لأنه أمر أو مبدأ يرفع من شأن الدولة والمجتمع والمحافظة عليهما ورعايتهما، أمام السلطة التي قد تطغى فتبتلع الدولة وتستبدّ بالفرد والمجتمع من خلالها، ورغم أن الدولة في مؤسساتها ذات طبيعة حياديّة، أي لا تحمل بعداً طبقيّاً او أيديولوجياً كما بينا قبل قليل، إلا أنها موجودةٌ وجوداً منطقيّاً شرعيّاً أي دستوريّاً، وهي حاضرةٌ في المجتمع حضوراً يجمع حوله كل الشعب الذي يعيش في إقليم الدولة، وهو بالتالي حضورٌ يلخّص وعي الشعب وتاريخه السياسيّ والثقافيّ والاجتماعيّ، بل إن الدولة هي التجسيد السياسيّ الثقافيّ الاجتماعيّ للجماعة – الأمّة، وهي الحافظة للحقوق الجامعة للمبادئ والقيم، والراعية لكرامة ومواطنيّة الفرد والجماعة، لذلك فالسلطة أيّا كانت لا تقوم مقام الدولة، ولا تحلّ محلّها، لأنها سلطةٌ، وفي حالة ما تمّ للسلطة ذلك تلاشت الدولة، وانتهت إلى لا دولة، وإذا ما انتهت الدولة إلى لا دولة أمست محض سلطة.

إن الدولة إذاً، حاضرةٌ في المجتمع بخصائصها وسماتها ومؤسّساتها التشريعيّة والسياسيّة وتنظيماتها الشعبيّة الجماهيريّة المتميّزة عن السلطة، وهي حاضرةٌ على وجه أخصّ من جهتين أساسيّتين:

الأولى: لها حضور تاريخيّ منذ أن بدأت تتشكل كدولة وصولاً إلى عصرنا الحالي، وبالتالي لها تراثها الثقافيّ والسياسيّ والوعي الاجتماعيّ بمفهومها كالدولة، وهذا ما يكوّن الأساس المعنوي لحضور الدولة في المجتمع.

والثانية: لها حضورٌ دستوريٌ قانونيٌ مؤسّساتي: ويتمثّل في دستور الدولة وقوانينها ونظامها السياسيّ، وفي مؤسّسات الدولة البرلمانيّة ومؤسّسات القضاء ومؤسّسات الرأي والمؤسّسات الجماهيريّة النقابيّة، والجمعيات الأهليّة والاتّحادات المهنيّة والهياكل والتنظيمات غير الحكوميّة، بما في ذلك تنظيمات المعارضة وفقاً للدستور، هذا ويعدّ المساس بأيٍّ من هذه المؤسّسات والتنظيمات مساساً بالدولة صاحبة السيادة. (٢).

مخاطر سيطرة السلطة على الدولة:

إن من أهم المخاطر التي ستصيب الدولة والمجتمع والسلطة معاً عندما تسيطر الحكومة أو السلطة على الدولة، هو تحول الدولة من دولة دستوريّة، ودولة مواطنة ومؤسسات يحترم فيها الرأي والرأي الآخر، والمشاركة ونشر العدالة والمساواة بين مكوناتها الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة والعرقيّة، إلى دولة شموليّة استبداديّة، أو دولة لصوص، تتحكم في آليّة عملها وأهدافها عبر مؤسساتها قوى اجتماعيّة لا تمثل مصالح الشعب وطموحاته، بقدر ما تعمل على تحقيق مصالح طبقيّة أو فؤيّة أو حزبيّة أو قبليّة أو طائفيّة محددة.

---

١ - (للاستزادة في هذه المسألة راجع- سالم القموري، سيكولوجية السلطة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لندن، ٢٠٠٠.).

٢ - (أندروفنسنت، نظريات الدولة، ترجمة د. مالك أبو شهيوة، محمود خلف، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٥ - ١٦.) وللاستزادة في هذا الموضع يراجع كتاب – الدولة – فلسفتها وتاريخها من الإغريق إلى ما بعد الحداثة – محمد حيدر – المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – بدون تاريخ نشر.).

المكتبة.. صومعة المعرفة وذاكرة الأمة؟

كتب: د. صياح فرحان عزام

هناك سؤال مهم يطرح نفسه في الوقت الحالي، ما مكانة المكتبة العامة في عصر التحوّل الرقمي؟

يؤكد العديد من الكتّاب والباحثين أن المكتبة العامة هي الرديف المهمّ والأساسي لطالبي العلوم المختلفة؛ ما يجعل من عملية التحول الرقمي تسهيلاً وتسييراً، فباستطاعة القارئ أن يطلع على الكتاب الذي يريده بسهولة فائقة، وهذا ما يُطلق عليه اليوم «المكتبة الذكيّة» وهي ترتكز على روح المكتبة باستخدام أحدث التقنيات، فالمكتبة مكان للتعليم وتوثيق المعلومات والتثبّت منها، وهي مراكز مجتمعيّة، ومكان للتجمّع، وملء أوقات الفراغ؛ هذه هي روح المكتبة العامة التي يجب التركيز عليها.

هذا ولا فرق كبير بين المكتبة العامة والمكتبة الرقمية من حيث المبدأ، فرغم أن المكتبة العامة تُعدّ المصدر الأول لجميع المكتبات الرقمية، فهما يجتمعان لتحقيق هدف أساسي واحد، هو توفير المعلومات اللازمة للقارئ، وستظل المكتبة مكان اللقاء الاجتماعي والثقافي بشرط وجود إدارة مميزة، حيث لم تتغيّر نظرة الإنسان للمكتبة، إذ يرى أن خلف جدرانها يكمن العلم ورصيد الأمم من المعارف والثقافات.

هذا ويقول أكثر من متخصّص بشؤون المعلومات والمكتبات إن التكنولوجيا كالطوفان لم تترك جانباً عن جوانب الحياة إلا وأثّرت فيه، وأن المفاضلة بين التكنولوجيا وما تقدّمه من خدمات وتسهيلات، وبين المكتبة العامة وخدماتها، هي كمن يفاضل بين الهرم وقطعة حجر فيه، ولحلّ هذا الارتباط لا بد من التفريق بين أمرين هما: «مظاهر المكتبة العامة» و«روح المكتبة» المظاهر الخاصة بالمكتبة، أن يكون لها بناء بمواصفات جيدة، وتملأ جدرانها الكتب، وتقدم خدماتها لزوار مَقرّها، ومُقسَّمة إلى أركان مثل: ركن المجلات، ركن الرسائل الجامعية.. ركن الكتب القديمة.. إلخ.

أما روح المكتبة العامة/ فيتعلّق بأسباب وجودها، فهي للجميع من دون تفريق أو عنصرية، ولديها مسؤولية اجتماعية كغيرها من المؤسسات مثل التعليم الرقمي، محو الأمية، حفظ مصادر المعلومات؛ فهي «ذاكرة الأمة» وهي مراكز مجتمعية.. هذه هي روح المكتبة العامة، ويجب استخدام التكنولوجيا كأداة لتحقيق أهدافها: وهذا ما يُطلق عليه اليوم «المكتبة الذكية»، هذه ولكل من المكتبة العامة التقليدية المملوءة بالكتب والمصادر الورقية، والمكتبة الرقمية المعنيّة بنُظم المعلومات والوثائق الإلكترونية مناخها وجمالها ورونقها وإيجابياتها الخاصة وبعض السلبيات التي تُنفّر القارئ، إلا أنهما معاً يسعيان لتحقيق هدف أساسي، وهو توفير المعلومات أو الأخبار والمواد اللازمة للقارئ، ولذلك لا فرقٌ كبيرٌ بينهما من حيث المبدأ، ولكن هناك اختلاف من حيث السعة المكانيّة والقدرة التخزينيّة، وسهولة الوصول للمعلومة ويُسْر الفهرسة، وسرعة الانتقاء.. إلخ.

ويشير باحثون آخرون إلى أن المكتبة هي كيان وروح قبل أن تكون مكاناً، وهي حجر الزاوية في تشكيل الوعي عند الإنسان، وبالتالي هي أكثر من أن تكون مصدراً للمعلومات فقط، بمعنى أنها مُكوّن من مكونات الذاكرة البشريّة والوعي الإنساني، وهي صومعة المعرفة التي يجب أن تبقى في كل مدينة حتى ولو تمّ أتمتة المدينة كلها.. هي ذاك المَعْلم الحضاريّ الذي يجب أن يبقى كمنارة في مرفأ المدينة الحديثة لعلّ تائهاً بسفينته يجد نورها في الأفق فتهديه سواء السبيل.

المكتبة إذاً، هي حالة وليست مجرّد مكان يقوم بتصدير المعرفة: قلم، وكرّاس، وكتاب، وكرسي وطاولة، وأرفف، وأمين مكتبة وهدوء تام صُمِّم بعناية لينقلك إلى حالة زمنية ومكانيّة بمواصفات راقية لم توفّرها حتى الآن الآلة الرقمية.

ستظلّ المكتبة العامة مُلْتَقى مهمّاً للشباب، والكتاب الورقيّ لا يزال، وستبقى له مكانته المرموقة لدى القارئ المحترف، وإذا سلّمنا بأن كل ما حولنا هو سحر صنعته الرقميّة كما يقول البعض، لكن لا نحتاج إلا كتاباً نرى ما هو حقيقي وواقعي وأصيل.. فالمكتبات التقليدية تتفوق على الرقميّة بأنها شبه مجانية بما تعنيه الكلمة من معان، حيث إن كلفتها أقلّ بكثير، فقراءة كتاب في مكتبة عامة لن تكلّف إلا الذهاب إليها، فناتورة التشغيل تدفعها الدولة نيابةً عن القارئ.. هذا من وجهة نظر حسابية بحْتة، في مقابل ما يمكن أن يدفعه القارئ من كهرباء وإنترنت على الأقل في المكتبات الرقمية التي يمكن أن يتطلّب بعضها اشتراكاً مادياً محدداً.

باختصار، ويمكن القول إن المكتبة العامة تزدهر في العصر الرقميّ، فهي أكثر من مخزن للكتب، هي مكان للتواصل بين البشر، ومكان لمختلف الفعاليات والورش الثقافية، وهي رمز لمجتمع يصنع المعرفة في مقدمة أولوياته.

رواية: (الأدميرال لا يحبّ الشاي) - خطاب النصّ وتمنيات المتلقّي

كتب: محمد جبير / بغداد

رواية الكاتب نزار عبد الستار «الأدميرال لا يحبّ الشاي» هي نصّ خارج توقعات المتلقّي الذي يعرف الكاتب عن قرب، سواء الحياتي أم الابداعي، ذلك هو أول مفتتح في جملة إثارة الأسئلة التي تنتج من فعل مواصلة القراءة للنصّ، إذ إنّ هذا النصّ في اختلافه مع بعض تجارب الكاتب يقترب أيضاً من توجّهه الجديد في إنشاء وتكوين في آليات اتجاهه، وأعني هنا رواية «مسيو داك» من حيث الجدة في عملية البحث عن فاعل سردي تقوم عليه البنية السردية، والفاعل عنصر غير تقليدي في السرديات المعاصرة «حشرة تفتك بالزرع» خارج المحيط الجغرافي للكاتب «لبنان»، لكنه لم يكتب نصّاً مجرّداً وإنما استثمر الفضاء الروائي في تمرير خطابه السردي من خلال الكشف عن لصوص بلاده الذين يتمتعون بهذا الفضاء، وهو بذلك يقدّمهم بوصفهم حشرات تفتك بالبلاد والعباد، أو كما قيل في «الضرع والزرع».

هذا الاشتغال السردي الذي يمتاز بانضباطية عالية في إدارة الحدث السردي يعود إليه مرة ثانية في تجربته الروائية هذه «الأدميرال لا يحبّ الشاي»، وهو أيضاً يشتغل في منطقة خارج محيطه الجغرافي المعيشي أو السكني «الموصل/ بغداد»، إذ يتخذ من البصرة فضاءً سردياً للتجربة الروائية، وإذا كان قد ذهب إلى عمق تاريخ تشكّل هذه المدينة، وإعادة حفريات هذا التاريخ بين لندن والهند والبصرة، وهي فضاءات تشكّل الشخصية المركزية أو الفاعلة في بنية الحدث السردي، ودورة الصراعات الاستعمارية في الاستحواذ على الأرض والثروات بين الاستعمار الهولندي والعثماني والانكليزي.

هذه الرواية التي تزدحم بالأحداث والصراعات والمتغيرات السلوكية والنفسية لا يمكن الوقوف عندها ضمن عتبة واحدة بعينها وإنما تتعدّد عتبات القراءة حتى يمكن الوقوف على الجزئيات الكلية التي شكّلت هذا النصّ، لكني أقف هنا عند عتبة هذا المقال «خطاب النصّ وتنميات المتلقّي»، حيث ترتكز هذه العتبة وتتماهى مع الجملة السابقة المستلة من النصّ «تدمير الصين»، وما علاقة الصين التي لم تكن في القرون السابقة منافساً لبريطانيا العظمى أو الدول أخرى؟

معنى ذلك أن الرواية في إطارها العام ليست رواية مغامرات وتشويق وحفريات في تأريخ مدينة، وإنما تذهب أبعد من ذلك إلى صراع كوني الاستحواذ على الثروات والبشر، وهو ما نراه مبثوثاً بين سطور الرواية بوصفه آراء أو متبنيات فكرية لهذه الشخصية أو تلك، «وخطورة الفعل الذي أقدم عليه في ساعة سكره، إذ أطلق الرصاصة على صورة السيدة بريطانيا في منطقة الرأس وبسلاح هولندي، بمعنى أن هذه الجريمة التي هي خيانة عظمى للتاج البريطاني، وخيانة تم ارتكابها بسلاح عدو ناصب بريطانيا العظمى العداء والصراع على مناطق النفوذ الاستعماري فهي جريمة مركبة في الوقت ذاته، ورغم كره الفرنسيين والهولنديين للأدميرال عزيز والخدمات التي قدمها لبريطانيا، لكن هذا الفعل الذي سوف ينسى أثناء فعل القراءة لن يمر من دون عقاب، وإذا كان هذا الحدث العرضي لدى المتلقي الذي سيغوص في بحر التفاصيل رمية غير واعية أو فعلاً سردياً تشويقياً ينسجم مع أفعال الشخصية ويتوافق مع استعراضاته الحياتية في صحوه وسكره وهو يقف منتشياً ببدلة الأدميرال، فإن منتج النص «الكاتب» يعي جيداً أهمية رميته هذه في تركيز خطابه السردي الذي يكشف عنه في خاتمة نصّه السردي، ما الذي نقرؤه من خلال هذه الخاتمة للنصّ؟ وما القول الواضح في هذا النص؟

قتل عزيز بعد أن تعرف على عمّه وانتمى إلى عشيرته وأهله في البصرة، ووزع ما كسبه من تجارة الشاي وما غنمه من الهولنديين على أبناء العشيرة، بمعنى أن عزيز انفصل عن وهمه البريطاني في العودة إلى جذره العربي، وهو ما دفع بالقنصل البريطاني في البصرة أن يقدّم سلاح عزيز إلى شينغ ليقوم بفعل الاغتيال، وهذا الخطاب هو درس للعملاء الذين يخدمون الأجنبي، ولا يختلف خطاب هذا النص عن خطابة السابق في نص «مسيو داك»، وهو ما يؤكد رؤية ومنهجية الكاتب في المتغيرات المحيطة بها، فإن الدول الكبرى أمام مصالحها وبقائها في دائرة الاهتمام لا مانع لديها من التحالف مع الشيطان أو أشدّ الأعداء في تنفيذ ما تخطط له.

ثأر منه أو للاقتصاص في إطلاق الرصاصة على رأسه من المسدس ذاته.

أنا بوصفي متلقياً للنص، حزنت لهذه النهاية أو المصير الذي وصل إليه عزيز، إذ كنت أتمنى أن تكون خاتمة النص في الصفحة ما قبل الأخيرة التي تبقي عزيزاً مزهواً بانتصاره في يوم انتصار الشاي على القهوة، أو انتصار بريطانيا على هولندا في صراع المصالح في أراضي النفوذ، هذا الانتصار أنجزه عزيز آل السفان حيث «بقي مرفوع الرأس، وحافظ على زهوه كمنتصر». «الرواية ص261»

لكن هذه النهاية الإيجابية للشخصية ممكن أن تصلح لرواية الشخصية أو رواية الأحداث وتكون نهاية مشوقة في خاتمة نص مغامرات، لكن الكاتب يقفز على هذه النهاية إلى النهاية الأكبر، أو من ذروة إلى ذروة ختامية ترتقي بالنص إلى خطابه المنشود .

كتبها: أوس أحمد أسعد

الأدبيّة أم الأدب؟

القراءة الأدبيّة النّقديّة الفاعلة، هي التي تفرض حضورها المثمر على المتلقّي، بعد أن تعي وتحقّق شرطيّ المعادلة الضروريّين (قارئ إيجابي، نصّ حيوي) وذلك من خلال تمكّنها من أدواتها التّطبيقيّة، وامتلائها الثقافي بموضوعها عموماً، فأهميّة النّقد الأدبي الجديد، المتأثر بمدارس الغرب الحديثة، تكمن هنا، بأنّها تحرث في أرض بكر، كون الدراسات النّقديّة المحليّة، ما زالتْ رهينة طرقها البحثيّة التقليديّة، تمارس رفضاً سلبيّاً للآخر «الغربيّ» بل تحاربه من موقع «عقدة نقص المهزوم تجاه ثقافة الغازي» في الوقت الذي تعصف فيه رياح التّغيير من كلّ الجهات، لذلك لم يعد السؤال مجدياً، حول القبول والرّفض، لكن ماذا لو نظرنا إلى المسألة من منظور آخر يساهم بـ(تخفيف الإحساس بوجع الهويّة المأزومة والخصوصيّة التاريخيّة)؟ منظور يرى بالثقافة والحضارة عموماً، إرثاً إنسانيّاً عالميّاً متنقّلاً، لا يحتكره زمان أو مكان محدّدان، حيث لأسباب ذاتيّة وموضوعيّة نراها، ترتحلُ من بؤرة إلى أخرى، عابرة التّخوم والحواجز واللّغات، على شكل حلقات متواصلة قد تنقطع هنا، لتكتمل هناك والعكس صحيح، ولمعرفتنا الجازمة بأنّ النقد العربيّ، هو انعكاس لواقع مؤسّساته الأكاديميّة السّكونيّة - وقد عجزت عن إنجاز حداثتها حتى الآن - فما الضير بالمحايثة والمثاقفة مع طرق الآخر النقديّة، وتطبيقها على مناهجنا المتّبعة «حاضراً وماضياً» بشكل إثرائي، بما يخدم النهضة المحلوم بها والمتعثّرة منذ أكثر من قرن، بدل استنساخ مقولات الماضي النّقديّة الخشبيّة واجترارها بلا جدوى؟ فالمشهد النقديّ ما زال يغصّ بالقراءات الانطباعيّة والتراثيّة الكلاسيكيّة التي تبحث في نيّات ومقاصد وشروحات الكاتب، وتنقّب في الخلفيّات الاجتماعيّة والسياسيّة والنفسيّة وغيرها من المضامين المحيطة بالنصّ، متجاهلةً الدخول في بنيته وتجاويفها، والبحث فيما تمتلكه من طاقات وذخائر تنتظر الكشف، لذلك أرى من الضّروري أن يرفد النهر العربي الرّاكد على مستوى النّقد الأدبي، بهذه الجداول ليتعمّق ويتّسع مجراه أكثر فأكثر، دون خشية من ابتلاع هذه الجداول له، وقد مهّدَتْ الطريق إلى ذلك، دراسات رصينة وجادّة، سواء بمشرق الوطن العربيّ أم مغربه، دراسات حاولت أن تملأ هذه الشّقوق والفراغات بروح مسؤولة، نذكر منها على سبيل الأمثلة لا الحصر: (عبد الله المسدي، صلاح فضل، الغذّامي، كمال أبو ديب، عبد الفتاح كيليطو، وعبد الملك مرتاض، محمد بنّيس، وغيرهم)، التي لم تعد تكتفي بالعموم الأفقيّ فوق سطح النصّ وحوله، بل تعمّقت في بنيته عموديّاً، بالمعنى الذي قصده المنظّر الأدبي «ياكوبسن» بحثاً عن معانٍ مطمورة وفراغات لن يتيسّر للقراءات الانطباعيّة والذّوقيّة التقليديّة اكتشافها، واقتناصاً للدّلالات المرجأة ذاتَ المعاني المتبدّلة، حيث غدا النّقد إضافة وتفجيراً ونصبَ فخاخ للشّوارد العائمة، المبعثرة، المتشظية في فضاءات النصّ، تلك الشوارد التي استبطنها قول «المتنبّي» حسب «الغذّامي»: «أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ» فالقراءة الجديدة تنحاز بقوّة لهذه النظريّات التي تُعلي من شأن «القارئ الإيجابي» باعتباره منتجاً للمعنى، أو لتعدّد المعاني إن شئت، لا القارئ السلبيّ، الباحث في دائريّة النصّ عن اكتماله، هذا القارئ الجديد الذي يعيد إنتاج النصّ، بطريقة الرّصد المتأنّي والقراءة المزهرة لجدليّة الحضور والغياب المتقنّعة بفراغات البياض والسواد المتداخلين اللذين يشكّلان بنيته وجسده الكلّيّ.

هذا القلب لأطراف المعادلة التي أرستها الدراسات النقديّة الحداثوية، وما بعد الحداثوية برؤاها الجديدة، الدّاعية لتفعيل النصّ والقارئ واستقلاليّة اللّغة، عن سائر الأنظمة المعرفيّة الأخرى، تتجاهل برأي الغيورين والمدافعين عن الخصوصيّة، أنّ الأدب مرتبط بالنفس البشرية التي تحمل قيماً ذاتية إنسانية خاصة بها، بعيداً عن قواعد اللغة الجافة، حيث الكتابة عند الشّكلانيّين هدف بحدّ ذاتها، ولا تأخذ قراءتها النّقديّة بالأبعاد الإيديولوجيّة الخارجة عنها، أو النفسيّة والاجتماعية والتاريخية أو الحقائق الواقعيّة المستمرّة والفاعلة في السيرورة الإنسانية، فهي تتعامل بشكل مجرّد مع الأداة الفاعلة لهذه العمليّة «اللّغة» وتعدّها بمنزلة «جهينة» التي لديها الخبر اليقين، حيث حوّل الاهتمام إلى النصّ وحسب، بما يحتوي عليه من بنى ألسنيّة مرتبطة بعلاقات داخلية تنطوي على «شفرات» غامضة، تستلزم فكّ مغاليقها من المتلقّي، وتحليل الخطاب الأدبي يتمّ من خلال شبكة علاقاته الداخلية «مستويات نحوية، صرفيّة، دلالية» وحسب، فالشعريّة هنا، تنفي الذّوق الفطريّ المتعارف عليه، في تفضيل مفردة على أخرى، ولا تعني بالدّلالة الأولى للّفظة بمعناها المعجميّ، كذلك شأن التفكيكيّة الدّاعية إلى الشّكّ في الخطاب العقلاني ذاته، الذي يدجّن اللغة والإنسان والعالم باسم العقل، فإستراتيجية «ديريدا» التفكيكيّة تتمثّل بتقويض الثنائية التي تحكم النصّ، والعمل ضد «نعم أو لا» فالنصّ «لا نعم ولا لا» إنّه التشتّت والتعدّد وعدم الركون إلى معنى محدّد، وتحرير الدوال من كلّ رقابة خاصّة، فهو غير قابل للتّمركز، وذو وجود معلّق بين دال حاضر ومدلول غائب، فالنصّ حضور وغياب دائمان، وعلى القارئ إشادة الجسور مع مساحة الفراغ بين دوال تعوم، ومدلولات سابحة، وبذلك يكون النصّ الأدبي شعراً أو نثراً بما هو غائب، لا بما هو حاضر، بدلالاته الإيحائية، لا بمعطياته التقريريّة المباشرة، فالأدب نفسه هو موضوع الأدب، كما يقول «ياكبسون»: (إنّ هدف علم الأدب ليس الأدب بل «الأدبيّة» أيّ العناصر المحدّدة التي تجعل من الأدب عملاً أدبيّاً)، هكذا يتمّ التعامل مع النصّ كنصّ مغلق، بعيداً عن منتج النصّ، ويُعلَن بجرأة عن «موت المؤلّف» بالقول إنّ: النصّ المغلق يعني عزل النصّ عن صاحبه ومحيطه التاريخي والاجتماعي، فهو مدينٌ للأنساق اللّغوية، التي تغذّيه بدماء جديدة، أمّا المؤلّف فيتمّ نفيه لحساب النصّ، كذلك الأمر مع تفعيل دور «القارئ» الذي يجب عليه إتقان فعل القراءة المجدية لثغرات النصّ وفراغاته، ومساحة بياضه وسواده المتحايثين، اللّذين تتعدّد معاني النصّ المختلفة من خلالهما.

ما يبدو لي أخيراً، هو أنّ الحالة النقديّة العربيّة القلقة، ما زالتْ في مرحلة «الطّور المرآتي» تمارس دور الرضيع الذي يخشى الفطام عن أمّه، بالمعنى الذي شرحه «البنيويّ النفساني» «جاك لاكان» تلك النّظريّة التي تشير إلى مسار تحوّل الطفل إلى فرد، وقد ركّز بها على تأسيس الأنا والتمييز بين الداخل والخارج، بين الصورة المنعكسة والشخص، حيث يمرّ الطفل بثلاث مراحل حتى سنّ السنة والنصف: الأولى «الواقعيّة» حيث يضحك الطفل من صورته المنعكسة، و لا يراها سوى امتداد للأشياء فيحاول التقاطها وكأنّها لغيره، والمرحلة الثانية «خيالية» حيث يرى صورته في المرآة ولا يحاول مسكها أو لمسها، وإن أدرك أنّها صورة فهو لا يدرك أنّها له، والمرحلة الثالثة وهي «الرمزيّة» حيث يتعرّف فيها على صورته الذّاتية، وهذا تطوّر على مستوى البناء الشخصي، وميزة هذه المرحلة أنها تساعده في فصل الجسدي عن النفسي المندمجين أصل، والذات عن شبهها، فمتى نستطيع التّعرّف على وجهنا الحقيقي في المرآة الذاتيّة والموضوعيّة يا ترى؟

النقد الاستعماري*
(جينوا أجيبي Chinua Achebe)**
- ٢ -

ترجمة: د. محمد علي حرفوش(***)

في كتابه ((نشوء الرواية الإفريقية))، يخبرنا تشارلز لارسون أموراً كاشفة عن الكونية، في فصل مرسّخ لرواية لينري بيترز التي وجد أنها رائعةٌ على وجه الخصوص يتحدث عن كونيتها، واهتمامها المحدود جداً بإفريقيا ذاتها، من ثم يمضي إلى الإفصاح عن الأمر برمته:

يبدو كون مكان أحداثها في إفريقيا أمراً عارضاً، لأن قصة بيترز، باستثناء بضع تعليقات في البداية، قد تجري بسهولة في الجزء الجنوبي من الولايات المتحدة أو المناطق الجنوبية من فرنسا – أو إيطاليا، وإذا ما تم تغيير أسماء شخوص وأسماء قليلين سيشعر المرء حقاً أن هذه كانت رواية أمريكية، باختصار، قصة بيترز كونية.

(Larson، ١٩٧١: ٢٣٠)

لكنّ لارسون يبدو على نحو جلي ليس جاهلاً كما يجعله المقطع السابق، حيث يختمه بملحوظة تشكيك بالذات أجد أنها مُلَطِّفة تماماً، يقول:

أو هل أضلل نفسي في اعتبار العمل كونياً؟ ربما ما أعنيه حقاً هو أنّ رواية ((الجولة الثانية)) هي إلى حد بعيد غربية وبالتالي بصعوبة إفريقية بالمطلق. (٢٣٨)

أجد من الصعب بعد ذلك أن أُظهر صرامة من مجرد الموافقة على وهمه، لكنّ قلّة من الناس الذين أعرفهم مستعدون لكي يكونوا أخياراً، في مراجعة حديثة لكتاب في لغة أوكيكي OkikeK، ناقد نيجيري، أومولارا ليزلي، سخر قائلاً: (اليقين المتلألئ هو أننا جميعاً أمريكان تحت الجلد).

هل خطر في بال تلك الجامعات تجريب لعبتها القائمة على تغيير أسماء الشخصيات والأمكنة في رواية أمريكية، لنقل، لدى فيليب روث أو أبديايك، وإقحام أسماء إفريقية في الشقب فقط لتتبيّن كيف ينجح الأمر؟ لكن بطبيعة الحال لن يخطر هذا الأمر لهم، لن يخطر لهم الشك بكونية أدبهم، في طبيعة الأشياء عمل الكاتب الغربي على نحو آلي متبصّر بالكونية، فقط الآخرون هم من عليهم أن يجهدوا لإنجازها، إن عمل زيد أو عبيد كوني؛ لقد وصل الأخير حقاً، وكأن الكونية منعطف بعيدٌ ما في الطريق الذي قد تسير عليه إذا ما سافرت بعيداً بما يكفي باتجاه أوروبا وأمريكا، ولو أنك وضعت مسافة مناسبة بين ذاتك والوطن، سأرغب برؤية كلمة (كوني) ممنوعة منعاً تاماً من النقاشات حول الأدب الإفريقي حتى ذلك الوقت الذي يقلع الناس فيه عن استخدامها بوصفها مرادفاً لمحدودية التفكير الأوروبية، الضيقة المحابية للذات، حتى يتسع أفقهم ليشمل العالم برمته، ولو كان النقد الاستعماري مزعجاً فحسب لربما شك المرء في تسويغ تكريس مقالة بكاملها عنه، لكن على الرغم من غرابة الأمر فإن بعض أفكاره وأسسه تفرض أثراً في كتابنا، لأن حقيقة عالمنا المعاصر هي أنّ قدرات أوروبا على الإقناع من الممكن أن تكون متجاوزة وجاهة وقيمة قضيتها إلى حد بعيد، خذ على سبيل المثال الكاتب الأسود الذي ينتهز موضوع أنّ ماضي إفريقيا هو على نحو يبعث على الأسى تاريخ شائن وكأنه شيءٌ جديد ما كان قد تم برهانه تواً على نحو ملائم بالنسبة له، سوف يتهافت النقاد الاستعماريون، بطبيعة الحال، تهافتاً تاماً عليه في إعجاب منتش ومروّل(١)، الأمر الجذاب، من ناحية أخرى، هو المنطق الملتوي والسفسطة اللذان في بعض الأحيان سوف ينسجونهما حول الغلواء على نحو تام مباشر وطبيعي.

في مراجعة رواية يامبو أولوغيوم ((محكوم بالعنف)) (١٩٦٨) بقلم شخص يدعى فيليب م. ألن في ((مجلة إفريقيا الشاملة)) (Allen، ١٩٧١) كان مثالاً على النقد الاستعماري المتكلف وحتى الباهر، وسوف تثيبُ الجملة الافتتاحية وحدها استقصاءً مترويا؛ وسوف أكتفي باقتباسها فحسب:

إنّ إنجاز رواية يامبو أولوغيوم الخاضعة لمزيد من النقاش، الرائعة، الغارقة في الإشادة على الرغم من ذلك هي على صلة أقل بالفريق الإيديولوجي الذي يحتال عليه مما هي على صلة بإرغام متعلق بالكونية الأخلاقية للحضارة الإفريقية. التأكيد من قبلي

بعد زمن قصير فيما بعد يوضح السيد ألن هذه الكونية الأخلاقية الجديدة:

هذه المناقبية ليست فحسب (غير إفريقية) – منكرةً المقاييس الموضوعة من الأسلاف كليي الوجود، وتضامن الجماعات، وشرعية العقد الاجتماعي: إنه كونٌ هوبسيني Hobbesian (٢) يمتد ما وراء القفر، وما وراء أساطير الإنسان الإفريقية، إلى الحضارة، حضارتهم وحضارتنا.

إن كنت ما زلت تستغرب كيف كان أولوغيوم في هذه المرحلة قادراً على إنجاز مأثرة، هرقلية(٣) لفرض كونية أخلاقية على إفريقيا أو بأية أدوات هائلة، لا يتركك السيد ألن زمناً طويلاً في حالة تشويق. أولوغيوم (مثقفٌ إفريقي تمكّن من أسلوب الثقافة الفرنسية وفلسفتها معاً)، قادر على دخول (قبب الخطاب الفلسفي الفرنسي).

لا ينبغي أن يدهش أحداً أنّ (ناقداً) واصل اللعب على الفريق الإيديولوجي للاستعمار سيشعر بالغثيان والتعب من (هوس إفريقيا بالمواجهة العرقية والثقافية)، وكذلك لن يثير الدهشة الحماسة نحو تلك الأعمال الإفريقية التي (لا تظهر تضاداً بين الأبيض والأسود)، لكن الإفريقي الذي وقع في هوى هراء كهذا، ليس على الرغم من تاريخ إفريقيا الحديث إلى هذا الحد فحسب، بل، حتى بدرجة أكثر، في وجه الفظائع المستمرة المُرتكبة بحقّ ملايين الأفارقة في بلدهم الأم من نظم الأقلية العنصرية، يستحق كثيراً من الشفقة. بالتأكيد، أي شخص، أبيض كان أم أسود، يختار رؤية العنف بوصفه مبدأً ثابتاً للحضارة الإفريقية حر في أن يفعل ذلك، لكن دعه ألا ينتحل صفة مرمّم كرامة القارة الإفريقية، أو يحاول التظاهر بأنه يكتب عن الإنسان وعن حال الحضارة على وجه العموم... ربما بالنسبة لمعظم الأشخاص العاديين ما تحتاج إليه إفريقيا هو عمل أقل تعقيداً إلى حد بعيد من الإصلاح.

...

لقد أوضح الناقد الاستعماري، غير الراغب في قبول صدق مشاعر أحد سوى مشاعره، رأيه الخاص في نبذ الرواية الإفريقية، وقام بكتابة مقالات ليثبت عدم وجودها إلى حد بعيد على أساس أنّ الرواية هي على نحو خاص صنف أدبي غربي، وهي حقيقة ستثير اهتمامنا في حال كان طموحنا متمثّلاً بكتابة روايات (غربية)، لكن، على أي حال، ألم يتخذ الناس السود في أمريكا، المحرومون من أدواتهم الموسيقية الخاصة، كلاً من الترومبيت والترومبون وينفخوا فيهما بشكل لم يسبق أن نُفِخَ مثله، وكما لم يكونا مصممين للنفخ؟ والنتيجة أليست الجاز؟ هل سيقول أحد أن هذا الأمر كان خسارة للعالم أو أنّ أولئك العبيد الزنوج الأوائل الذين بدؤوا يعزفون هنا وهناك بأدوات أسيادهم الموسيقية المهملة كان ينبغي عليهم عزف رقصات الفالتس والفوكسترو؟ لا! ليُترك كلُّ شعب يحضر مواهب أفراده إلى المهرجان الكبير لحصاد العالم الثقافي وسيكون الجنس البشري أغنى بكثير بسبب تنوّع العطايا.

يتحدث شعبي باستنكار عن دخيل جفّف عويلُه حزن ذوي الجثمان، كلمةٌ واحدة أخيرة لذوي الجثمان، نظراً لأن نقادنا كانوا نوعاً ما مترددين في التمكن من نقدنا الأدبي (في بعض الأحيان – لنواجه الأمر – للسبب الوجيه الذي مفاده أننا لن نقوم بالعمل الشاق الذي سيمدنا بالوسيلة) وقعت المهمة على عاتق الآخرين، الذين كان بعضهم (مرة أخرى علينا أن نعترف) ممتازين وحساسين، وعلى الرغم من ذلك من الممكن معالجة معظم ما يبقى مما يجب عمله من قِبَلنا، نحن ذوي الجثة ، وإذ ننكفئ إلى الخلف، هل يمكننا الشكوى أنّ الآخرين يندفعون إلى الأمام؟ هل يمكن للشخص الذي لا يلعق شفتيه أن يلوم رياح الهرمتان على تجفيفهما؟

الهوامش:

× من كتاب ((آمال وعثرات: مقالات مختارة ١٩٦٥ – ١٩٨٧))، لندن: هاينمان، ١٩٨٨. وهو مؤسس على ورقة بحثية تم إلقاؤها في رابطة أدب الكومنولث والدراسات اللغوية في جامعة ماكيري، أوغاندا ١٩٧٤.

×× روائي نيجيري، يعدّه النقاد أحد عمالقة الرواية الإفريقية، يكتب باللغة الإنكليزية. من بين أعماله ((أشياءٌ تتداعى)) (١٩٥٨)، و((ابن الشعب)) (١٩٦٦)، و((كثبان الساڤانا)) (١٩٨٧)، التي حظيت بانتشار واسع النطاق ونالت إشادة النقادة وجمهور القراء على حد سواء – المترجم

××× مترجم وأكاديمي وباحث سوري، عضو اتحاد الكتاب العرب.

١ يسيل لعابه كناية عن المشاعر المفرطة – المترجم .

٢ Thomas Hobbes (توماس هوبس) (١٥٨٨ – ١٦٧٩) فيلسوف إنكليزي، من أعماله ((مبادئ القانون الطبيعي والسياسي)) (١٦٤٠)، ((لوياثان أو في المجتمع الكنسي والمدني مادة وصورة وسلطة)) (١٦٥٠).

٣ جبارة، حاولنا الالتزام بأسلوب الكاتب قدر الإمكان - المترجم.

الكتاب الأكثر مبيعاً في العالم
الحظ المقدس
الكاتب السوري الفنلندي
أحمد سائد الزين

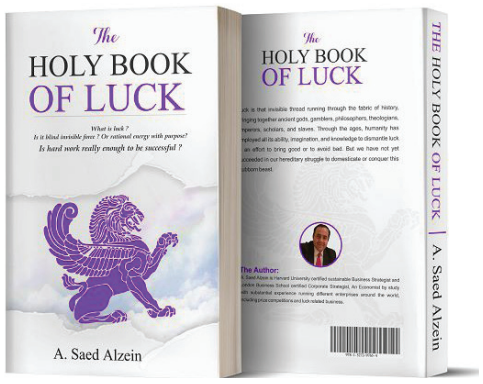

صدرَ في لندنَ مؤخّراً للكاتب السوري – الفنلندي أحمد سائد الزين، كتابٌ باللغة الإنكليزية بعنوان: الحظ المقدس، ويعالجُ الكتابُ موضوعاً غامضاً ومثيراً، وغيرَ مطروح سابقاً وهو ماهيّة الحظ، ما الحظ؟ هل هو قوةٌ عمياءُ تسيرُ بلا هدف وتصيبُ من تريد أم إنّ الحظَّ إرادةٌ إلهيةٌ فاعلةٌ عاقلةٌ! لماذا يكون البعضُ محظوظاً جداً بينما يكون آخرون دون أيّ حظ في الحياة؟

يتألّفُ الكتابُ من ٢٧٠ صفحة باللغة الإنكليزية ويحوي تسعة فصول شائقة تأخذ القارئ في رحلة ميمونة مع التاريخ والحضارات القديمة الغابرة ثم مع العلم الحديث، في محاولة لترشيح الحظ بشكل دقيق وبلغة سهلة تعطي للقارئ قراءة ممتعة للغاية.

بدأ الفصل الأول بعنوان مثير لافت، هو الحظ عبر التاريخ وكيف نظرت الحضاراتُ الغابرةُ إلى موضوع الحظ والطقوس الغيبية والماورائية التي تناقلَتْها الشعوبُ القديمةُ في محاولة لجلب الحظ السعيد.

أمّا الفصلُ الثاني فكان بعنوان: حظ الأرحام وأسطورة العمل الشاقّ لتحقيق النجاح، وهذا يُعَدُّ الفصل الأكثر إثارة للجدل في الكتاب حيث يؤكّدُ الكاتبُ في هذا الفصل أن النجاحَ في الحياة ليس بالضرورة أن يكون مرتبطاً بالعمل والجهد، ويدلّلُ على ذلك بمفهوم حظّ الأرحام الذي جاء به الملياردير الأمريكي الشهير «وارن بافيت» الذي أقرَّ أنّ نجاحَهُ لم يكن، وكذلك ثروته الهائلة، لولا أنه محظوظ أوّلاً، حظ الأرحام يعني أن مكان ولادة الشخص وبلده سيلعب دوراً كبيراً جداً في حياته، فالمولود مثلاً في دول الساحل الإفريقي حيث تعمّ الفوضى والأمراض والجهل غير المولود في سويسرا أو فنلندا التي تتمتع بأعلى مستويات الرفاهية في العالم، هل اختار المولود في إفريقيا أن يولد في إفريقيا؟ إذاً فالحظ يلعبُ دوراً كبيراً في نجاح الشخص من دون أي سلطة للبشر في هذا الأمر.

أمّا الفصل الثالث فكان حول رؤية الشّرائع الكبرى في العالم لمفهوم الحظّ خصوصاً أن هذه الكلمةَ وردتْ مرّات عدةً في القرآن الكريم بينما لم ترد البتةَ في الأناجيل المقدسة، وفي البوذية فإن الحظّ يُنظر إليه على أنه «كارما» أي ما تفعله من خير أو شرّ في هذا العالم فإنه سيرتد عليك على شكل حظّ في حياتك، أما في الهندوسية فعندهم آلهة خاصة للحظ اسمها لاكشمي تعبد لكي تجلب الحظ السعيد.

أمّا الفصل الخامس فيعالجُ نظرة العلم إلى مفهوم الحظ حيث عرض الكاتب لدراسات علمية رصينة قام بتوثيق مصادرها لتوكّد بشكل لا لُبْسَ فيه وجودَ الحظ ودوره الكبير في نجاح المرء في حياته، خصوصاً البحث العلمي الشهير الذي قامت به جامعة كاتانيا الإيطالية بإشراف ثلاثة علماءَ مختصّين في الاقتصاد والفيزياء والإحصاء الذي برهن على دور الحظ في سيرورة النجاح.

أمّا الفصل الثامن فعالجَ عَلاقة النجوم ومساراتها بالحظ وبتاريخ ولادة الإنسان حيث أظهرت دراسات علمية رصينة قام بها الكاتب بتوثيق مصادرها منها أن شهر الميلاد له علاقة بنوعية الأمراض التي تصيبك وبالتالي بنوعية اختياراتك في الحياة وحيث إننا علمياً مصنوعون من غبار النجوم حيث تحوي أجسامنا على موادَّ عضوية غير موجودة في الأرض مثل الكالسيوم في العظام والكربون فإن هذا يعني أن حياتنا ومساراتها تتأثر بشكل كبير بالكون المحيط من حولنا.

يختتم الكاتبُ هذا الكتابَ المثير بخلاصته ورأيه الشخصي حول الموضوع حيث يؤكد الكاتب أن الحظ حقيقة ساطعة مترسخة في حياتنا لكنه يطلب من القارئ ألّا يستكين وألا ينتظرَ الحظَّ بل عليه العمل والجدّ في حياته مع محاولة أن يكون في المكان والزمان الصحيحين لكي يجلب الحظ إليه ويكون من الناجحين بشكل دائم.

المشهدية الدرامية في رواية (دموع بغداد) ترسم جسراً بين الشرق والغرب

كتبت: عبير منون

رواية (دموع بغداد) التي كتبها الدكتور عبد المؤمن القشلق زج فيها شخصيات خيالية وضعت القارئ في منعطفات تاريخية من حيث الأهمية، في زمن الحرب بقالب عاطفي لا يخلو من الرومانسية والمشهدية الدرامية، تتمركز أحداث الرواية في زمن الحرب الأمريكية على جمهورية العراق بحجة القضاء على الإرهابيين والتخلص من الترسانة النووية لديها ولكننا نعلم أن هذه الحجج ليست إلا ستاراً للسيطرة على الثروات النفطية العراقية ولكن من يبدأ بقراءة رواية (دموع بغداد) سيلاحظ أنها ليست إلا خيطاً ذهبياً يلمع وسط أحداث آثمة محزنة ولهيب من مشاعر القهر على أوجاع هذا الشعب الطيب.

لم تتجمل الرواية بمنمقات بديعية، ولم يكن القشلق بحاجة إلى أجناس ادبية لسردها أو كلمات قوية جزلة لنسج الأحداث، بل كان سرداً بسيطاً خالياً من الألغاز والتساؤلات، يجد القارئ فيها سهولة في فهم الأحداث من دون معاناة.

ارتبطت الواقعة بمكان وزمان محددين للبيئة وقد قدم الكاتب الشخصيات كأبطال ضمن مساحة جغرافية معروفة فكانت البداية على أرض العراق ثم سورية وبعد ذلك نيويورك ومناطقها، قُدمت تلك البلدان بشكل لطيف آسر، وذلك من خلال ذكر تفاصيل بسيطة، أكدت ووثقت علاقة الجسد مع الأرض، كان للشخصية دور كبير في إظهار حقيقة الاعتداء الذي كان قد طُرح على لسان البطلة العراقية فاطمة عندما قالت لمن اقتحم منزل عائلتها: ((اعذروني يا أعزائي فأنتم المواطنون الأمريكيون ساذجون قليلاً في السياسة أي إنكم مسيسون تماماً ولا تعرفون ما يدور من حولكم فما تقوله لكم الـ س إن إن تعدّونه حقيقة ولا ترون أبعد منه.)).

الرواية مشوقة، مملوءة بالأحداث الحربية أبطالها ثوريون في الإنسانية وهم العنصر الأهم والتي جسدت جوهر العمل والفكرة الأساسية فتجاوزت الكلاسيكية في المفهوم وزاد في جمالها التوتر الواضح على شخصيات الرواية من خلال المونولوج الداخلي لكل شخصية ولم يجنح القشلق عن سير الخط العام للرواية فحقق بشخصياته حضوراً لافتاً توجب الاعتراف به، ولم يتعمد الهروب من المواقف العالقة فيها بل عمل على تنظيم التوازن بين شدة الأحداث ورخائها كما أن الكاتب قام بالإجابة عن كل سؤال بادر ذهن القارئ ولم يبخل في التفاصيل.

بطل الرواية شاب أمريكي برتبة رقيب اسمه مايكل يُزج في الجيش الأمريكي لمحاربة المقاومين العراقيين للاحتلال الأمريكي، تقوده الحرب مع رفاقه إلى مهاجمة أحد الأحياء السكنية ويدخل معهم أحد البيوت ليتفاجأ بثقافة العائلة المؤلفة من الطبيب عبد الرحمن وزوجته وابنته فاطمة الفائقة الجمال التي تتكلم الإنكليزية بطلاقة وهذا ما زاد من دهشة مايكل الذي سأل بدوره الشابة أين تعلمت الإنكليزية فقالت إنها تعلمتها في جامعة أكسفورد وكذلك الأمر باقي العائلة وأكدت له أنها ليست كما يظنون امرأة تقايض بالإبل، يتركها مايكل ويفك قيودها وقيود عائلتها لتبقى الشابة بجمالها وذكائها عالقة في جدران ذاكرة البطل ويبقى على تواصل مع العائلة التي رحبت به كولد من أولادها حتى أتى اليوم الذي قررت فيه العائلة النزوح إلى دمشق هرباً من الحرب في العراق وخوفاً من الهجمات الأمريكية المتكررة.

رمزت شخصية فاطمة الذكية والجميلة إلى السلام العالمي بزواجها من ابن الغرب مايكل الشاب الثوري ضد الحرب المحب للسلام وبدوره احترم عادات وتقاليد فاطمة العربية فهي فتاة مسلمة من عائلة محافظة وهو شاب مسيحي بعيد كل البعد عن عاداتهم وتقاليدهم وقد تعلم مايكل العربية جيداً بعد أن اضطر إلى أكل بعض من أمعاء الخروف المحشية والمأكولات الشرقية التي اشتهر بها العرب.

استطاع القشلق التنويه بلغة ساخرة ذكية إلى ما يفكر به الغربي تجاه العرب فهم يعتقدون أن العربي إنسان متخلف إرهابي ولكن مجيء الجيش الأمريكي المؤلف من شرائح متعددة من الشباب المختلفة في تعليمها وثقافتها وأخلاقها أزاح عن وجوههم الستار لتظهر حقيقة هذا الشعب الطيب المسالم.

سلّط القشلق الضوء على ساحة المعركة ليرسم مشهداً درامياً وكأنك تراه أمامك على الشاشة فذكر التفاصيل الحربية في الرواية حقيقةً لا يعرفها إلا الضابط العامل في السلك العسكري أو الجندي الذي شارك في المعركة وإن دل هذا فهو يدل على وعي الكاتب وثقافته وإلمامه بالعلوم العسكرية وثقافتها وكأن الأحداث التي رصدها من هجوم ودفاع وتفجير وقتل ووصف للأسلحة توحي أنه كان أحد المقاتلين على أرض المعركة.

بعد أن يصاب مايكل في المعركة تتم معالجته بإجراء عملية جراحية يتم فيها زرع أسلاك في قدمه وتتكلل العملية بالنجاح، ويضطر لإجراء معالجات فيزيائية بعد نزع تلك الأسلاك ويعود الى بلاده ويتابع دراسته الجامعية وطبعاً لا يغيب عن ذاكرتنا أن الكاتب طبيب يزاول مهنته الإنسانية وبالتالي فقد أغنى هذا الجزء من الرواية بالمعلومات التي تفيد ثقافة القارئ الطبية.

كان مايكل يتابع أخبار الحرب اليومية الكاذبة عبر التلفاز بعد تسريحه من الخدمة العسكرية يشعر بالغضب ويتعمد عدم متابعة سماعه، يقوده الاشتياق والحب الصادق إلى التفكير بلقاء من يحب من جديد وكان سفره من مدينته ديترويت حتى دمشق حافلاً بالتعب والمشقة، وقد استطاع الكاتب أن يدخل بتفاصيل بعض الأحداث الصغيرة التي واجهته للعودة إلى لقاء حبيبته في دمشق التي تعد أقدم المدن في العالم وأجملها ويزور بعض الأماكن الأثرية منها السوق المسقوف والجامع الأموي... إلخ.

تدرجت أحداث الرواية الشائقة بأسلوب سلس عذب سلط فيه الكاتب الضوء على عادات وتقاليد بيئية شامية كانت ولاتزال حتى اللحظة عنواناً تعريفياً عن البلد كشرب العرق سوس من الساقي الذي يرتدي الزي الشامي.

تزوج مايكل فاطمة التي رافقته إلى ديترويت حيث واجهتهما مجموعة من المصاعب ولكن الحب القوي كان السلاح الأفضل لتجاوز تلك الصعاب.

رواية شائقة مملوءة بالأحداث التي تحمل بين طياتها أهدافاً أخلاقية وتربوية، يُخال إليك أنك ترى فيلماً سينمائياً، أبدع كاتبه في إخراجه قبل كتابته.

التراث في رواية هبوب السموم

كتب: جاسم الحمود

أولاً، تعريف بالرواية: رواية هبوب السموم للكاتب عمر الحمود، وهي الرواية الفائزة في جائزة حنا مينة للرواية العربية 2019، وطبعتها الهيئة العامة السورية للكتاب 2020.

ثانياً، مدخل: التراث هو كلّ ما تركه السابقون، أو أنتجوه من آثار مادية أو معنوية، ومنه المكتوب ومنه الشفاهي، واستناداً إلى هذا التعريف يضمّ التراث آثار البناء والموروثات المادية الأخرى والحكايات الشعبية والأمثال والأشعار.

والتراث جزءٌ من ماضي البشر، ومن الطبيعي أن يتأثّر به الإنسان، ومهما اندمج بالحاضر، أو اهتمّ بالمستقبل، تبقَ بصمات الماضي عليه، وإن ظهرت البصمات على الإنسان العادي، فمن الأولى أن تظهر في إبداعات الكتّاب لتأصيل قيم باتت تفقد حضورها المتوهج في وقت متقلّب الثوابت، ولإظهار خصوصية أحد أعمدتها التّراث، والوصول إلى سرديات جميلة.

فظهر التراث جلياً في روايات نجيب محفوظ والطيب صالح وواسيني الأعرج وغيرهم من أعلام الرواية العربية.

وتوظيف التراث لمسناه بوضوح في رواية هبوب السموم في بحثها عن مسالك نور في عالم معتم.

ثالثاً، بصمات التراث في الرواية جاءت الرواية ثرية بهذه البصمات، فقلّما نجد صفحة من صفحاتها تخلو من أثر التراث، وبعودة انتقائية تختار المفيد من التراث، وتوظّفه، وهذا التوظيف أعطى عمقاً للرواية، ودفع أحداثها للأمام، وبلا انحياز أعمى لهذا التراث أو تعصّب له، فهناك اعتراف بالمشرق من تراث الآخر المختلف أشارت إليه الرواية: عازف القيثارة أورمينوس، غوستاف إيفل وبرجه، عيون أليزا، أراغون....

ومن وجوه هذه البصمات:

1. توظيف التاريخ:

. إدخال نص تاريخي في الرواية ضمن السياق النصي: (أرى الرشيد يعطي لنفسه حقها، يتطيّب بعطر الغالية، ويمارس هوايته في ركوب السفن المزينة في نهر الفرات ليلاً...) ص187.

ومنه ما حافظ على شكله التاريخي وبنيته، وتم حصره بين قوسين كنص للطبري: (حين نوى الهادي منح ولاية العهد لولده جعفر بدلاً من الرشيد عرض على الرشيد نهري الهني والمري، وكاد الرشيد أن يقبل قائلاً: إذا حصلت على الهني والمري، وتزوجت ابنة عمي زبيدة، فلا أريد شيئاً) ص 177.

ومنه ما تماهى في السرد الروائي، وذاب فيه كحادثة أبي ذرّ الغفاري: (اعقل قبل أن يُسطّر نفي بحقك، فتخور جوعاً وعطشاً لتدفنك صحراء الربذة في جدث من رمال) ص 305.

. الإشارة إلى الأحداث التاريخية كالوقائع بين الروم والعرب وقصة امرأة الحارث بن عوف وقصة مجنون ليلى وحادثة ترك النبي إبراهيم الخليل لولده إسماعيل في واد غير ذي زرع، وغيرها.

وذكر الشخصيات التاريخية: شهر زاد، الرشيد، قطر الندى، نقفور، أبا فراس الحمداني، عنترة، الفاروق، الإمام علي، سليمان بن داوود، الفارعة الشيبانية... وغيرهم.

2. الاستفادة من لغة السيرة الشعبية: (رغَت نوق، وصهلت جياد، وارتفع حداء، وتفتحت دروب، يتجول فيها خلفاء وخلعاء، عرب وعجم، حرائر وإماء، وتجسدت محاسن وأوابد) ص300.

ومقاربة الشكل الفني للسيرة الشعبية من حيث الضخامة وتعدد الشخصيات وتشعّب الأمكنة والتطرّق لأحداث خارقة.

ونجد أحياناً عناصر خجولة من سيرة الكاتب في الرواية لم يقاربها الكاتب بسرد توثيقي، بل بمعالجة فنية كعمله في المحاماة ومتاعب تلك المهنة.

3. توظيف اللغة التراثية: فنلاحظ مفردات قديمة وجزالة ألفاظ: (وزفرت الريح زوابع مثقلة بالعجاج والحزن والغبار المجنون، وبنظرة خرساء ودّعت ما حولها، ورحلت قبل أن يُغلق صندوق الحكاية.

وأقوال مأثورة: (أحبّ الناس إليّ من أهدى إليّ عيوبي) ص214.

4. أسطرة بعض الأحداث: كحب نجمة وهلال الذي بقي متألقاً على الرغم من العوائق ص 179.

وحادثة عذارى النهر اللواتي فضلن الموت على العار حين حاصرهن الغزاة ص120.

وقصة شعلة التي دافعت عن نفسها أحسن دفاع ص122.

ووقوع هلال في عالم برزخي بين الحياة والموت ص 346.

5. التضمين: تضمين الأشعار الفصيحة والموشحات الأندلسية والأشعار الشعبية والأهازيج الشعبية والأهازيج الدينية وأغاني الأطفال وأغاني الغزل وأغاني الحصاد ومنظومات الفقد والحزن والأمثال الفصيحة والأمثال العامية.

وتصوير للعادات والأعراف كالخطبة وطقوس الصلح العشائري والتواريخ الشعبية....

وجمعت الرواية بين الخيال والواقع كما في ألف ليلة وليلة، واحتفت الرواية بالآثار المادية كسور الرقة وباب بغداد ودير مار زكّا وقلعة جعبر والرصافة، حيث تأنسنت أطلال الرصافة، وأخذت دور البطولة في أحد المقاطع: (تغضب الأطلال، وهي الثابتة في وجه الفناء، تثير سموماً قاتلة وغباراً خانقاً وأتربة ثقيلة، وتستغرب قلوب بشر تتحجّر، وتروي للريح كأنها الشاهد والطبيب والمؤرّخ) ص282.

وبالرسائل: وهي من الموروث السردي العربي كرسالة هلال السجين إلى والده. ص134.

والقصص الدينية والتناص مع القرآن الكريم والسنة النبوية: لا يحيق المكر السيء إلا بأهله ص 81.

قتل نفس بغير حق كقتل الناس جميعاً ص193، الإشارة إلى الأنبياء كإبراهيم الخليل وداوود وسليمان....

6. جعل الرواية تستند على حكاية رئيسة إطارية (حكاية هلال ونجمة) وضمن إطارها حكايات فرعية: حكاية نوم المدينة، حكاية الغزالة، حكاية الأفعى الكبيرة، حكاية تحرش التايه بزهرة، حكاية المنشار في السجن، حكاية حفّار القبور، حكايات استشرفها الكاتب من أزمة قادمة...

وكذلك تعدد الرواة: هلال، نجمة، التايه، الواصل، الكاطع....

وهكذا نجد أنّ التراث يمدّ المبدعين بمادة خام، وقد برز تراث مدينة الرقة وأريافها في رواية هبوب السموم بتوظيف حسن، جعل بعض الدارسين لها يصفونها بأنها رواية بيئة بامتياز كما في كلمة الناشر على غلافها، وجعل الرواية تمتد على الأزمنة الثلاثة بانسيابية: الزمن الماضي أخذت منه ما يفيدها.

. الزمن الحاضر برصدها لوقائعه.

. الزمن المستقبلي الذي تنبّأت بوقوع أحداث فيه.

ونجحت في توظيف التراث، وفتحت أبواب معرفة خصبة عن بيئتها، بأسلوب سلس ولغة جميلة.

حضن

قصة: محمد الحفري

«عاين يا دكتور الدمع جرحلي الخدود
ولو أعلق العشرة شمع محبوبي ما يعود ..
آهات ودموع، وكويات الضلوع
ما أقدر أتحمل بعد، بس عاين يادكتور"

تذكرت أن ما تقوله كلمات تلك الأغنية كان ينطبق على حالتي، فقد كنت أريد أن أفضفض من خلالها، أو ربما أعلن عن صرختي، أهذي، وأبكي، أتوجع، وأتململ، وأحاول النهوض من فوق ذاك الكرسي من دون أن أستطيع ذلك، حيث بدا وكأنه ألتصق بي، ولن أفتك منه طوال الحياة، والسؤال يلح عليّ ويحاصرني طوال الوقت، هل يا ترى سأعود فوق تلك الدروب التي عشقتها روحي ذات وقت؟.

كنت أقول لنفسي في كثير من الأحيان وكأنني ألومها : مالك يا رجل أكلما مرت، أو هبت عليك نسمة عطر تتقطع روحك إلى أجزاء مبعثرة ؟هي مجرد امرأة تمر كل يوم أمام ناظريك، وتمضي في حال سبيلها.

. ليتك تعرف أنها قد شلعت قلبي من شروشه قبل أن تغيب خلف تلك الأبنية الصماء البليدة .

. ستعود، ما عليك سوى الصبر والانتظار.

. ليتها تعود في كلّ وقت، أو ليتها تأتي، لتستقر هنا في حنايا روحي التي تبعثرت مع وقع خطواتها.

كنت أقضي غالب الوقت في تلك الشرفة من الطابق السابع مثل حمامة حبيسة في طاقتها بعد أن فقدت وليفها، وليس هناك ما تفعله سوى هديل حزين تطلقه في فضاء المكان تعبيراً عن وجعها وعزلتها وسجنها.

لم يكن هناك من شيء أستطيع فعله سوى مراقبة الشارع من تحتي فقد خرجت من المشفى حديثاً بقدمين مكسورتين، وشظايا انتشرت في مطارح كثيرة من جسدي، وعلى الرغم من ذلك كنت أريد من الطبيب أن يعاين ندوب القلب بدلاً من جس النبض، ومعاينة جروح الجسد وتعقيمها.

أحياناً كانت والدتي المسكينة تحار في أمري، ولا تدري ماذا أريد منها، حيث تسألني لماذا أصرخ؟ وأين مكان الوجع؟ ثم تتصل بالطبيب، وتعاود البسملة، والدعاء، من دون أن تعرف ماذا يمكن أن تقدم وتفعل من أجلي؟ وأي دواء من كومة الأدوية تلك يمكن أن يسكن ألمي؟ وبدوري أحار كيف أرد على أسئلتها حيث أغدو كأنني أخرس، لا يتقن سوى لغة الإشارة، وخاصة وأنا أشير لها إلى مطارح كثيرة من جسدي، لأنني لا أعرف أين موقع الروح بالضبط؟

لم يسبق لتلك الفتاة أن رفعت ناظريها نحوي على الرغم أنني كنت أطل برأسي من فوقها، وأنده عليها بأعلى صوتي، فلا تستجيب، أصرخ، فيضيع الصوت بعد أن يشق رأسي، عندها كنت أسألني: أتراني لو أخذتها إليّ ماذا سأبقي منها ؟ ولو حدثت المعجزة وأحبتني، ثم جذبتني نحوها ماذا تراها ستبقي مني ؟ ولو اجتمعنا كتلتين ملتهبتين هل ستذيبنا حرائقنا المتوقدة؟

مرّ وقت ثقيل، وومض شعرت من خلال ثوانيه، ودقائقه، وساعاته وكأنها تأبدت، ثم جاءت تلك اللحظة التي استطعت أن أخطو فيها مبتعداً عن شرفتي في الطابق السابع التي حسبت على الرغم من جمال موقعها أنني كنت سجيناً في داخلها.

أردت في ذلك الوقت أن أرى وجوه الناس عن قرب، أتملى في تعابيرها، وأرقب حركة أجسادهم وتزاحمهم، أسمع ضجيجهم وخلافاتهم، وضحكاتهم، والشوق يحدو بي كي أتنفس أنفاسهم ، نزلت في المصعد من دون علم والدتي، ورحت أضغط على أوجاعي، وأنا على العكازتين حيث بدوت في سيري مثل سفينة تلعب فيها الرياح، أوكأنني طفل يتعلم المشي تواً، ثم فجأة لم أعد أرى من المارة سوى وجه تلك الفتاة التي كنت أرقب مرورها سابقاً من شرفتي، ويبدو أن الأمر كان كذلك بالنسبة لها، حيث تركت ذاك الرجل الذي كان يسير إلى جانبها، وركضت مثل سهم نحوي، وعندها فتحت ذراعي على اتساعهما، وتحولنا معاً إلى قطعة واحدة، طارت إلى الفضاء الواسع دفعة واحدة، وكانت القبل بديلاً من الكلام، ولولا الأيدي التي ضربتني، وانتزعتها عنوة من حضني ما كنت لأتركها، وعندما سحبها الرجل الذي كان يسير إلى جانبها وسار مبتعداً معها حاولت اللحاق بهما، ولكن الكتلة البشرية التي ساهمت في ضربي حالت بيني وبين ذلك، وبقي بعض منهم يكيل لي السباب والشتائم.

لم أشعر بالألم الذي تسببت به الضربات، ولا بحجم الإهانة التي لحقتني، وكنت أقف بثقة على ذلك الرصيف، وفي نيتي أن أطير من خلفها لولا أنها اختفت وغابت وسط الزحام، وعندما حانت مني التفاتة إلى الأرض أصابني الذهول فقد رأيت عكازتي مرميتين هناك.

كلفني البحث عنها وعن مكان إقامتها وقتاً أطول من المدة التي انتظرتها، لتطيب جراحاتي وتجبر كسور قدمي، وحين وصلت إلى هدفي المنشود، عرفت أنها قد رحلت مع والدها إلى حيث لا يمكنني أن أصل إليها، ولم يكن أمامي سوى زفراتي الحرّى، وذلك الشارع الذي أرقبه كلّ لحظة، وحسبته قد صار حزيناً مثلي بعد أن فقدنا معاً تلك الفتاة التي ما من شبيه لها بين النساء.

الغرباء

قصة: يوسف محمد سلمان

باكراً تصحو العصافير ترفرف بأجنحتها وهي تنقر نقرات خفيفة على ضفائر الشمس توقظها لينتشر الضوء في أرض الله مجتازاً كل الأسلاك الشائكة وكل الحدود والتخوم حيث لا أسياد ولا عبيد.. ضوء الشمس ينتشر في دنيا الله دون حساب ودون فواتير.. ربيع الضفة كما هو الربيع كل عام أزاهير وورود وخضرة مع زيادة لافتة باللون الأحمر حيث تكاد جميع الأزهار ترتدي لون الدم الأحمر وسط أشباح بيضاء تصعد كلّ يوم نحو السماء أو تهبط أو ترفرف كما العصافير فوق بيوت الأهل والأصدقاء.

«وسيم» من أطفال الضفة اعتاد جميع الأزاهير الربيعية ومطاردة الفراشات الملونة، وسيم في حالة ضجر شديد وانزعاج ومنذ الصباح والدته هي السبب لقد تعجّب كل العجب من تصرّفاتها هو يعرف أنها تحبه ولكنه لا يفهم لماذا منعته اجتياز الطريق الإسفلتية بالاتجاه الآخر حيث بساتين الربيع الغنية بالخضرة والأزهار والعصافير والفراشات الملونة وكلّ الأشياء الجميلة؟ لقد صاحت في وجهه وبقسوة غير معهودة: عد يا وسيم.

- لن أعود سوف أمضي باتجاه بستان جدي الشيخ محمود.

وتمسكه الوالدة بشدّة تعيده وهي تهدّده: لن تبرح هذا المكان افهم كلامي.

بكى بشدة.. تألم سخط على كل شيء.. تضايق من قسوتها الغريبة واتخذ قراراً ضمنيّاً سوف ينفذه رغماً عنها، لقد أضحت فرصته مواتية حين انشغلت بالطبخ وغسيل الأواني وتلبية طلبات والده وجدّته وبقية أفراد الأسرة.. لم ينتظر طويلاً بسرعة تحرّك.. اجتاز الطريق الإسفلتي.. بسرعة حاول الابتعاد عن بيوت حارته الصغيرة.. كان يحلم أحلاماً وردية بطاقات كثيرة من الزهر وعصافير وفراشات وسوف يحسده عليها كل أولاد الحارة، وراح يخطط ليهدي طاقة ورد إلى معلمته الآنسة سلمى تلك المعلمة الودودة اللطيفة التي تحب الورود والأطفال.. وسوف يحتفظ بطاقة ورد صغيرة يضعها في كوب ماء ليزيّن غرفة الضيوف في بيته الصغير وسوف يضع العصافير الصغيرة في قفص جميل وسوف يفرح كثيراً وهو ينظر إلى عيون رفاقه الصغار يحسدونه على صيده الوفير وسوف تصرخ أمه في وجهه قليلاً وبعد ذلك ترضى كعادتها وتضمّه إلى صدرها وتقبّله فرحة بالورود والعصافير.. وصل حقلاً صغيراً.. جمع بضع وردات صغيرة.. ثمة أصوات غريبة لم يألف سماعها.. نظر قليلاً.. ما هذا؟

إنه بناء جديد قرب بستان جدّه الشيخ محمود.. تساءل في نفسه: هل هذا البناء لمستوطنة جديدة؟ لقد سمع من أهل القرية أن اليهود يبنون مستوطنات جديدة.. لم يكترث بالأمر طويلاً هذه كلمات لا تهمّه إنه يريد جمع الورود فقط.. أصوات غير بعيدة عنه.. من هؤلاء؟ ظن للوهلة الأولى أنهم أطفال مثله يجمعون الورود ليقدمونها هدية إلى معلماتهم.. نظر ملياً.. هؤلاء ليسوا أطفالاً، ملامحهم لا تدل أنهم يجمعون الورود أو يحبّون الورود.. رجال غلاظ لم تعجبه أشكالهم إنهم يقيمون بناءً جديداً قرب بستان جدّه الشيخ محمود بل إن قسماً منهم يعمل داخل البستان يتكلمون لغة عربية لا يفهمها.

- يا إلهي! ألهذا كانت أمي تمنعني اجتياز الطريق.. قال في نفسه أدرك خطيئته.. أوجس في نفسه خيفة حاول أن يعود إلى بيته دون ورود أو عصافير.. صرخ كبيرهم في وجهه: قف.

حاول أن يهرب.. رصاصة حمقاء اخترقت ساقه اليمنى.. صرخ.. وقع مغشياً عليه لم يعد قادراً على المشي.. الغرباء هجموا عليه وهم يحملون بأيديهم بنادق تنتهي بسكاكين حادة.. صاح أحدهم: مخرّب أين تهرب؟

تلمس جرحه.. الدم ينزف بغزارة، طاقة الورد بيده تبللت بالدم لم يعد لأزهاره لونها الجميل بعد أن تلوّنت بدمه.. بكى وهو يقول لهم: أنا وسيم ذاهب لأجمع الورد من بستان جدّي الشيخ محمود.

رجل غليظ متوحش سدّد بندقيته باتجاه رأسه الصغير وهو يقول: من معك أيها المخرّب؟ قل..

- وحدي

- لا تكذب وإلا..

- أقسم لكم وحدي..

- وماذا تعمل هنا؟

- أنا في الصف الرابع أجمع الورود لمعلمتي.

- ها هو أرسلوك لتتجسّس علينا..

وبوحشية لكمه لكمة قوية.. بكى بشدّة، والرجل الغليظ يصيح في وجهه: هيا قل من معك؟

لم يعد قادراً على الجواب.. هنا أدرك سبب شدّة والدته في منعه اجتياز الطريق، ندم حيث لا ينفع الندم، لم يعد همّه جمع الورود ولا مطاردة الفراشات.. جرحه ينزف.. أحب أن يصرخ.. شعر أنه ضعيف حتى عن الصراخ.. وحوش كاسرة أمامه لا يدري كيف يهرب؟ رجله لا تساعده.. كان يسمع كلامهم.. قال أحدهم: كلب عربي اقتلوه..

قال آخر: ماذا تنتظرون؟

وحش منهم انفجر ضاحكاً سدّد بندقيته باتجاه الرأس الصغير وهو يقول بوحشية: هذا أول صيد لهذا اليوم.

انفجار دوّى في رأس وسيم الذي لم يعد يستطيع الكلام.. تحوّلت روحه إلى حمامة بيضاء رفرفت كغيرها طارت عالياً وهي تحمل طاقة ورد صغيرة مصبوغة بالأحمر بينما كانت أشعة الشمس الحزينة تغطّي كل الحقول والسواقي بضفائر صفراء حزينة..

غواية

قصة: مالك عجيب

مجدداً.. تتراءى لي.. بهية شهية كخطيئة تضوع غواية.. تتبدى لي قصيدة رشيقة القوام بديعة المعنى تارة تتنكر بزي قصّة جذابة تارة، وقد تصل بها الغواية حد تقمّص جسد ملحمة أسطورية تبوح بما لا يباح، تتلوى بغنجٍ هامسة في روعي:

- هيت لك.. اكتبني.. اكتبني.

أراوغ متوجسّاً شرّاً مستطيراً.. ثم أنسلّ محجماً:

- إليك عني.. ما أنا بكاتبك.

- بلى.. بلى، هيا.. عليك بي.. ستكتبني.. ستكتبني حتماً.

يستفزّني يقينها فأسألها مستنكراً؟

- ولمَ أكتبك أيتها المتعجرفة؟

- لأنني الواقع.. لأنني الحقيقة.. لأنني معراجك الأسرع إلى المجد.. اكتبني.. اكتبني ولن تندم أيها الراني أبداً إلى المجد.

تمسّ دعوتها شغاف قريحتي فتكاد تجود بعنوانٍ بهي.. تكاد إرادتي تخذلني.. أهمّ بها فتهمّ بي.. أهيم بها.. ثم أتمالك نفسي فأدفعها عني:

- إليكِ عني، ما أنا بكاتبك.. ما أنتِ سوى وهم خادع.. كذبة ستودي بي إلى التهلكة، دعيني وهدوئي.

تأبى التراجع.. تتلوى دلالاً.. تتوهج ألقاً.. تتشبّث بي.. تضمّني بشغف عاشق أمضّه الشوق، تهمس مجدداً:

- لا.. لن أدعك.. تباً لهدوئك.. سحقاً لحيادك.. اكتبني كما تشاء.. اكتبني قصيدة.. قصة.. ملحمة.. اكتبني ولو خاطرة.. فقط اكتبني وسأسمو بك إلى الذرا.. إلى المجد والعظمة.. إلى الخلود.

يلين عنادي رغبةً.. يخفق فؤادي تواطؤاً.. يصرخ عقلي احتجاجاً:

- إياك.. إياك.. لا يلدغ العاقل من جحر مرتين.

تواصل همسها الآسر غير عابئة بصراخ عقلي:

- اكتبني.. اخلقني.. أوجدني.

ينساب همسها إلى فؤادي، يقتحم مخيلتي.. يسري في أصابعي.. أقاومه بكل ما أوتيت من جبنٍ وخورٍ مهمهماً:

- لا.. لا حاجة بي إلى ذراكِ ومجدكِ وعظمتكِ وخلودكِ.. دعيني وخنوعي.

فجأة.. ينقلب همسُها صراخاً:

- ولكنني بحاجة.. أنا التي أحتاج أيها الخانع الذليل.

- بحاجة لماذا؟ أجاريها صراخاً!

- وتسأل لماذا أيها المتحامق؟ أيها المتغابي؟ حسناً.. أنا بحاجة لأن تمنحني الوجود.. لأن تمنحني الحياة.. لأن تهبني الخلود، لا أطيق أن أظل مجرد فكرة هائمة في خواء العدم.. أريد جسداً أيها المتكبّر الرعديد.

تنفذ شكواها إلى إدراكي.. أعي وجعها، أتعاطف معها فألتمس لها عزاءً:

- وما حاجتك للجسد أيتها الخرقاء؟ أما علمتِ أن التجسّد آفة الخلود.. إنه الدرس الذي تعلمناه بثمنٍ باهظ ما زال وسيبقى يستنزف حياتنا إلى الأبد.

- لا تنكرنّ علي حقاً أنت حائزه.. متنعّم به، وإن كنتَ تذمّه وتدّعي الشقاء به.. اكتبني.. اخلقني.. أوجدني.. أريد جسداً أتنعّم وأشقى به.

تلين عزيمتي بإزاء حجّتها المفحمة.. يخور جبني بإزاء إصرارها.. تتزيّن لي فوهةُ الجحر كوةَ ضياء بهيّ.. تنتابني رغبة جامحة بالاستسلام لغوايتها.. أتناول القلم وأخطّ حرفاً.. ثم أخطّ كلمة.. وتنداح الحروف والكلمات جارفة صدودي ووجلي نحو قعر شكٍّ يخالجه بعض اليقين، وإذ بغاويتي تتبدّى ملحمةً رشيقة القوام بديعة المعنى تبوح بما كان منذ الأزل سرّاً لا يباح، أتيه عجباً بما ارتكبت يداي.. أتأملها ملياً فيستهويني بهاؤها.. أثمل نشوة بحسنها وجلالها.. أعتنقها وأسمو بها إلى ذروة يقين لا يشوبه شكّ ولا يعتريه وجل.

وداعاً أيّها القلق

قصة: أمل حورية

قُدتُ سيّارتي بسرعة جنونيّة عند غروب ذاك المساء، وأنا أتّجه إلى منزل ابنتي، فقد كانت الدّماء تغلي في عروقي حنقاً على زوجها الذي قام بضربها إثر شجار حدث بينهما.

عندما أتاني صوتها على الهاتف وهي تبكي وتقصُّ عليَّ ما جرى، رغبتُ أنْ أمسك رقبة زوجها وأقوم بخنقه، لا.. لن أسمح أبداً بأن يتجاسر عليها ويضربها، سأعيدها إلى البيت الذي ربّاها.

فجأة شعرتُ بألم شديد في رأسي وأطرافي، ألمٌ انتزع روحي من جسدي، ووجدت نفسي بعد لحظات احتضار مريرة وكأنّني أسبح في الفضاء أهتدي بظلّ ملاك، لم يطل الأمر كثيراً إذ أشار لي الملاك بأن أرتاح على شرفة غيمة بيضاء قريبة من الأرض.

لم أعهد قبل ذلك التّحليق في الفضاء، عشتُ طوال حياتي أمشي على قدمين لذلك أصابني تعب شديد.

وقف الملاك إلى جانبي، لم أدرك بعد ما حدث، ولم أستفق من صدمة ارتطام سيّارتي بحائط النفق، وتهشُّم جمجمتي.

ما زلت أبذل جهداً كبيراً في التذكّر... آه.. نعم لقد وافتني المنيّة حين كنتُ أقود بسرعة لأصل إلى منزل ابنتي، يا إلهي.. ماذا حلَّ بها؟

كم أنا متعبة، ليتني أستطيع العودة لأطمئن عليها، نظرتُ إلى الملاك مستجدية، ابتسم بعذوبة بعد أن فهم قصدي، وساعدني على التّحليق نحو منزلها.

ها هي تجلس على الأريكة تبكي بحرقة حزناً على وفاتي، وكم دُهشتُ من رؤية زوجها وهو يجلس إلى جوارها ويجفف دموعها تارة ويحتضنها ويحتضن طفله تارة أخرى.

ماذا يحدث في منزلي؟ ها هو زوجي يجلس على حافّة السرير يضع رأسه بين راحتيه، تقطر الدموع من عينيه، فيمسحها بطرف كُمّه، يدخل عليه ابني البكر (رايان)، يربّتُ على ظهره، ثم يجلس إلى جواره ويقول له: سيكون موعد الدفن غداً بعد صلاة الظهر، سينطلق موكب التشييع من المشفى إلى المسجد ومنه إلى المقبرة.

يهزُّ زوجي رأسه، فيتابع ابني: لذلك عليك أن تخلد قليلاً إلى الرّاحة والنوم يا أبي، ينتظرنا غداً يوم شاق.

فيتمتم زوجي بكلمات أشبه بالأنين: ومن أين يأتيني النوم بعد رحيل الغاليّة؟ أتفهم؟ رحلت رفيقة عمري، آه.. يا إلهي كيف أتحمّل هذا المُصاب؟

ولم يتمالك ابني نفسه، فراح يبكي هو الآخر كطفل صغير.

كم شعرتُ بالأسى لحالهما، آه لو يسمعاني، فأخبرهما أنّني بخير، ها أنا.. (هيّ) يا قوم.. أنا هنا وبخير ألا تراياني؟

من الصالة أتاني صوت ابني الثاني (رضوان) وهو يصرخ: لا.. لا أصدّق، هكذا ودون سابق إنذار ترحل أمّي الحنونة؟

زوجته تحاول تهدئته بألطف العبارات الدينيّة والمواعظ عن القضاء والقدر وعن مشيئة الله.

صحتُ: رضوان يا حبيبي.. ها أنا، صدّقني إنّني بخير، امسح دموعك وانهض، أنا أنتظر مثلك قدوم مولودتك، لا تتعب زوجتك فهي على وشك الولادة، ويجب ألاّ تراك في هذه الحالة المزرية من الحزن والنّواح.

للأسف، ابني رضوان لم يسمعني ولم يرني.

أومأ الملاك بأن نعود إلى الغيمة، بعد أن لاحظ ما اعتراني من تعب وحزن على أولادي وزوجي.

لكنّني رفضت، لا أريد الذهاب بعيداً، عليَّ أن أكون قريبة دائماً من أولادي للاطمئنان عليهم.

ابتسم الملاك ابتسامته العذبة، وتركني متسمّرة على الشرفة.

في الصّباح كنتُ قد استعدتُ شيئاً من نشاطي، اتّجهتُ مسرعة إلى منزلي، لم أجد إلاّ النسوة في المنزل، يتّشحْنَ بالسّواد، ويجلسْنَ بوقار.

ابنتي تجلس في صدر الصالة، وقد أرختْ على رأسها منديلاً أبيض تحمل سُبّحة بين أصابعها، وتجفّف كلّ هنيهة دموعها.

جلستُ إلى جوارها، قبّلتها، حاولتُ التخفيف عنها، لكنّها لم تسمعني.

أقام الرجال مجلس عزاء في مسجد الحيّ، تصدّر المجلس زوجي وولداي، يتلقون عبارات العزاء والمواساة، لمدّة ثلاثة أيّام على التوالي، وأنا أزورهم، وأراهم على الحال نفسه وأحاول التخفيف عنهم.

في اليوم الرابع كانت مراسم العزاء قد انتهت، وعاد أولادي إلى منازلهم، بقي زوجي وحده في المنزل، رأيته يتجّه إلى المطبخ ويعدُّ لنفسه ما تيسّر من طعام، يلتهمه بشهيّة كبيرة.

توجّهت إلى منزل ابنتي، وجدتها تشارك طفلها لعبة على جهاز الهاتف وتضحك معه، وعندما دخل زوجها نهضت لتعانقه، فحملها بين ذراعيه وانهال عليها تقبيلاً.

خرجت مسرعة من بيتها بعد أن غمرت السعادة روحي، وتوجّهت إلى منزل (رايان) كان يتمدّد على أريكته، وإلى جانبه زوجته يتحدّثان عن مصاغي الذهبي، فهي تصرُّ على اقتناء سواري العريض الذي ورثتُه عن جدّتي.

وابني (رايان) يعدُها بأنْ يستبسل للحصول عليه حتّى لو اضطر أن يعادي أخته أو أخاه.

توجّهتُ إلى منزل ابني (رضوان) فوجدته يتشاجر مع زوجته، يا إلهي.. لماذا أنت دائم الغضب يا رضوان؟

كانت زوجته تصرُّ على ألاّ تحمل المولودة اسمي، وعندما استنكر رضوان ذلك، إذ إنّها وعدتني عندما كنت على قيد الحياة على تسمية المولودة باسمي.

همستُ في أذنه: لا عليك يا حبيبي، لتطلق زوجتك على المولودة الاسم الذي ترغب فيه، هذا ليس مهمّاً.

بعد لحظات من الشرود، نادى عليها قائلاً: حسناً.. لك ما تريدين لكن المولود القادم، أنا من سيتكفل بتسميته.

فرحتُ لأجلهما، وحلّقتُ عائدة إلى غيمتي، وقفتُ على الشرفة أراقب أولادي من بعيد، يا إلهي كم اشتقت للأحاديث معهم.

عندما زرتهم بعد أسبوع، كانوا قد اقتسموا مصاغي بالتراضي، وولِدَتْ حفيدتي التي حملت اسماً عصريّاً جميلاً.

أمّا زوجي فقد أعدّ بنفسه وللمرّة الأولى في حياته طبق الطعام الذي يفضله.

عدتُ إلى غيمتي، وأنا أشعر أنّني أصبحت خفيفة.. خفيفة كالريشة.

ظهر ملاكي فجأة، أومأ لي بأنْ أحلّق في الفضاء، وأشارك تلك الأرواح سعادتها.

نظرتُ للمرّة الأخيرة إلى الأرض، حيث أولادي، باغتني فجأة حزنٌ شديد أثقل روحي، وجعلني أتسمّر في مكاني فلا أقوى على التّحليق كبقيّة الأرواح.

كيف لي أنْ أبتعد عن المكان الذي فيه من تعشقهم روحي؟

نهضتُ بتثاقل، وقفتُ على حافّة شرفة الغيمة، نظرتُ إلى ملاكي، كان يبتسم ابتسامة تشجيع، وبرفق دفعني عن الحافّة، فحلّقتُ إلى الأعلى، طرتُ بعيداً.. بعيداً، وكلّما ابتعدت كان يخفُّ وزني.. وأزدادُ سعادة.

في أحضان البنفسج

شعر: علا شيحة

خرجت هذا المساء
أقتفي أثري في صمت الريح
أفتش عنّي في مراياي
أمشي خلفي
أتتبع خطاي المبعثرة
أقف انتظرني على باب الوقت
لعلي أجدني ها هنا
أو ربما أجد خبراً سعيداً عني
لا أخبار جيدة تخبر يحملها الصدى
يسقط قلبي في قعر الليل
أنظر فأراني غيري
لست أنا من أراه
أعود أمشي على رؤوس أصابعي
كي لا أخدش خد الأقحوان
أنا المنفي في تباريح الليل
أتجرع كأساً من غيابك
لأغيب فيَّ
كي لا يتعب مني انتظاري
حتى لا أستيقظ فأراني
أمطر دمعاً
أهطل ورداً
أصير برقاً لامعاً
كالذي ينتفض في عناق الغيوم
فيشق روحي شعاع من زبد
لا الوقت يصير إبرة
ولا الحضور ينشر خيطاً
فكيف أغلق هذا الجرح في روحي؟
وكيف أوقف نزيف الصمت
في ضجيج الكلام؟
الحرب تضع أوزارها على أطراف
لساني
فتقنصني رصاصة من عجز
تعود بي إليّ
حيث تركتني وحدي
أداري الليل من صرخات الحنين
أمسح عن جبهة العمر
ما سال من شذا الحرمان
أين أنت؟
أيها الممتد بيني وبيني
أيها الغائب بين الحلم والرجاء
لن أكتب لك قصيدة هذا المساء
سأحاول أن أجمع أجزائي
وألملم شتات حروفي
لأزرعها في رحم اللغة
فيخرج منها جنين الكلام
يقتل ورم الكتمان الخبيث
المتمرس في مدار حنجرتي
لعل الكلمة تصير قصيدة أنثوية
أو تكون رثاءً تتلوني
في حفل جنازتي
أودعني بما تناثر من كلماتي
لأكتب شطراً منها
شاهدة على قبري
فلا ورد بعد الموت ينعش ذاكرة الرائحة
أعود إلى فراشي
بلا حذاء يلفّ أوصال القلب
ألملم بقاياي
تتمايل خيوط الدمع لحناً حزيناً
يرميني جثة في أحضان البنفسج

إلى امرأة حزينة

شعر: خليل العجيل

إلى امرأة حزينة
ينتهي اسمها بتاء مربوطة للحنين
هل ما أكتبه شعراً؟
ولا تجيب الغيمة
هل أخبرك سراً؟
بأنّني كلّ يوم أموت
وتخونني الذاكرة
وبأن أجمل القصائد
والسنابل
والعصافير البرية
تموت بطلقة طائشة؟
هل أخبرك النهر يوماً...
بأن طفلتي ماتت كالأشجار واقفة؟
كيف لي أن أنسى ضحكتها
وأعتذر للمقبرة؟
هل أخبرك النهر يوماً
بأنّني مثل القطار يتيمٌ
بلا سكّة؟
وبأنني كلّ يوم أموت
وتخونني الذاكرة..
أنا رجل فاقد للذاكرة
لا أتذكر إلا اسمين
اسمك يا (.... ة)
والربابة....

لا تحزن لنا لقاء آخر

شعر: إسماعيل مكارم

في ليلة من ليالي الشتاء الطويلة
جاءَني في المَنام
ذلك الوَلدُ، الذي كُنتُ،
جَلسْنا على مَقعَد
قالَ: وماذا حَققتَ؟
قلتُ: القليلَ.
تذكرَ الوَلدُ حكايات العَجائز العَجيبة،
وتلك السّنينَ العجاف،
وفقدانَ الوالدين المُبكر،
كأنّ غُراباً أسودَ جاءَ ضيفاً إلى تلك الدّار،
كانَ الجُوعُ رفيقاً للطفولة
كانَ الوَلدُ حينها هزيلاً شاحباً،
وكانت الضيعة كلها تبحَثُ عن الرّغيفْ،
غير أنَّ إرادة الحياة انتصرَتْ
ثم كبُرَت مثل بنت الحكاية..
أخذتْ من البازلت قسوته،
ومن النسيم طراوته
ومن القمر ضياءَه،
كانَ على إرادة الحَياة تلك
أن تبنيَ الحُلمَ، وتؤمنَ بالحكاية،
غادَرَ الولدُ تلكَ الضَيعَة
قادماً إلى المَدينة،
تلك المَدينة لم تخذلهُ،
ولم تسْرقْ أحلامَه،
بل أهدته كتاباً وسراجا،
كبُرَ الولدُ وأصبح الكتابُ صَديقهُ
وأضاءَ السّراجُ له دَربَهُ
هَديلُ الحَمام
كان يَبعث فيه المَسرّة،
ضوءُ القمر
كان يَمنحُه رَقة الإحساس،
أصدقاءُ الطفولة
كانوا يبادلونه الصّدقَ بالصّدق
والوفاءَ بالوفاء،
سَيفُ جَدّه، والحَرْبَة، وذلك السَّرجُ،
والجُنودُ المارونَ بقرب المَدرسَة
رَسَموا في صَدره روحَ الرّجولة،
ومَحَبّة الوطنْ
تعلّم الوَلدُ الصّبرَ والتماسُكَ
من صُخور الجبال الصّلبة،
تعلمَ العَطاءَ والكرَمَ
من مواسم الحُقول،
تعلمَ المَحبّة، وطيبة الرّوح
من كروم التين والعنب
كان الولدُ يُحبُّ دفء الصَّباح،
ويراقبُ بشغف مَنظرَ الغروب
في أيام الصّيفْ
وكبُرَ سربٌ من الأصدقاء،
أحلامُهُم كما قِمَمُ الجبال عالية،
أرواحُهم كما الثلجُ صافية، نقية،
دروبُهم صَعبة وبَعيدة،
غيرأنها تقودُهم نحو النورْ
قالَ: سَنواتٌ طويلة...،
وتقولُ - القليلْ.
قلتُ: إذا كان الأمرُ لأجل الآخرين،
قد تحَققَ الكثيرُ،
إذا كان الأمرُ لأجل روحي وروحكَ،
فقد تحَققَ القليلْ
قال: في المَعْرفة؟
قلتُ: إذا كنتَ تعني المِهَنيَّة:
طلابٌ، أضواءٌ، مَجلاتٌ..
هذه كلها للآخرين،
ليسَتْ لروحي، ليسَتْ لروحكَ
سألَ: وما هذا القليلُ؟
قلتُ: كنتُ وفيّاً تجاهَ ابنتي،
كنتُ صادقاً حين وَعَدْتُ،
لم أنثنِ يَوماً
أمام إرادة قدَري وَمَصيري،
ما خُنتُ يوماً بَلدي، أو أصدقائي،
حافظتُ على العَهد مع الخالق،
ما أنكرتُ يوماً وجودَهُ بقربي
قالَ: وماذا لم يَتحَققْ؟
قلتُ: العيشُ في الوطن، ولأجله،
العَمَلُ بين الأهل، ولأجلهم،
رؤيةُ شمس الصَّباح،
وتوديعُها حين تذهَبُ للمغيبْ،
هناكَ - في ضَيْعَتنا
غادَرني ذلك الوَلدُ قائلا:
لا تحزنْ، لنا لقاءٌ آخَرُ

أصبنا الثمالة خمراً

شعر: ميادة أحمد حسين

ذكرى جميلة بالمودة والمنى
أرخت سدولَ الياسمينِ مع الهنا
شمسٌ إذا ما أشرقت كان الرُّبا
يحوي نداه بكل شوقٍ موهنا
تزهو بأشواقِ المرام على المدى
تشكو الصبابة تستغيث إلى المنى
أنا عاشقٌ ودليل عشقي نظرة
ترمي سهام العشق تحصد ما جنى
ولهانة تلك الحروف بسرِّها
كم تاق في خلجاتها مر الخنا
تسعى بإلحاح على وتر الصبا
وعلى شفاه الشوق يجرح بالقنا
ما زلت حلماً في غياهب ليلتي
شريان وصلك في دمي متوطنا
إن أقبلتْ بدت المواجع كلها
أو أدبرتْ نزف الجراح مع الضنى
فتضيع مني من جديد محابري
ويضيع منها الوقعُ كيف إذا رنا
عيناك وشوشة الأقاح كسوسن
وحروفك الترياق باتت... مسكنا
فدع الحروف البيض تسرج حبنا
فالوجه بدر لاح حين.. تأمنا
القد غصنٌ بان والملافظ إنسنا
سكنٌ لنجواها الفؤاد وديدنا
همساتها سحر القوافي للنوى
تزهو بأوصاف تمايز سوسنا
ما لي أحنّ لمن هواه مشاغلي
وكأنّني ومضٌ يضيء بعشقنا؟

لو

شعر: ريما خضر

لو أَسعفَني الوقتُ
لكنتُ أزاهيرَكَ
وتراتيلَ أناشيدِكَ
لكنتُ حفظتُ دروسَ الفرحِ
بشكلٍ أكثرَ انسيابيّةً
فهذه الحربُ الضَّروسُ
لم تمنحْني المزيدَ منَ الوقتِ
لأُصغيَ إلى وجهِك
لو أَسعَفَني الحُبُّ
لكنتُ وهبتُ الطريقَ ظلالَ أشجاري
ومشيتُ وقلبي تحتَ ظِلّك...
لو أسعفَني الوطنُ
لرتقتُ ما بقيَ من أحلامٍ
وحلمتُ
كما يفعلُ الشهداء
لو أسعفَتْني نفسي
لرتّبتُ ارتباكَ القصيدة
تلك التي سقَطَتْ سَهْواً
من قلبِك...

الجارة الأغلى

شعر: محمد حسن العلي

(سَلَمْيَةُ)(1) والهوى نفحُ الخُزام
ومن عينيكِ فاتحةُ الكلام
من الماضي لنا أسرارُ دنٍّ
توقّدَ همسُها وجداً بجامي
ومن صِغَرٍ أعتّق منك ذكرى
تسعّر جذوةُ الذكرى هيامي
تطوف بخاطري والحبُّ سُكْرٌ
إذا انداحت تغلغلُ في عظامي
وأنتِ الجارةُ الأغلى لقلبي
علقتُ هواكِ من قبلِ الفطامِ
وها قد جئتُ يحملني اشتياقي
أطيرُ وراءَ قلبي المستهامِ
تقدَّمني عصيًّا.. قلتُ هلّا..
تمرَّد ليس يَثنيه انتقامي
أيلثمُ وجنةً؟ أيعبُّ ثغراً؟
تحيَّرَ كيفَ يبدأُ بالسّلامِ؟
فإنَّ (لعينك الزرقاء)(2) سهماً
له وقعٌ ولا كلُّ السِّهامِ
فقلت: إليكَ.. تهْ فيها غراماً
فإنك لا تَمَلّ من الغرامِ
وخذني صوبَ هاتيكَ الرَّوابي
فإني قد وجدتُ بها مَرامي
وهبني نهلةً منها زُلالاً
من (الشّادوفِ) أو (عينِ الخزامِ)(3)
هي الأوفى بما وعدت حناناً
وتسقي صَبَّها والكلُّ ظامي
وفي آثارها النَّضراتِ دنيا
تُشعُّ كألفِ صبحٍ في الظَّلامِ
(قناةُ العاشقِ)(4) الولهانِ بَوحٌ
يبثُّ الوجدَ من عامٍ لعامِ
صَداقُ (أفاميا) شلّال عطرٍ
ونشر شذاه عشقٌ للأنامِ
و(يا أمَّ البلاد)(5) فدتك نفسي
أديري خمرةَ الحبِّ الشّآمي
دعيني أجتني أحلامَ عمري
بأرضٍ صانَها حَدُّ الحُسامِ
هبيني من شذا (البلعاسِ)(6) عطراً
وغفوةَ متعبٍ تحتَ الخيامِ
لأقْبِسَ من لهيبِ الحبِّ ناراً
وأرشفَ منه معسولَ الغرامِ
هناك مضاربٌ شمخت إباءً
وظلاً وارفاً يشفي سَقامي
لها في دُرَّةِ التَّاريخِ سِفْرٌ
وسامُ الجودِ بورِكَ من وسامِ
كرامٌ كلما الصَّحراءُ نادت
تهلَّلَ وجهُهُم مثلَ الغَمامِ
ومن رَضِعَ اللُّبانةَ من هواها
خليقٌ أن يذودَ وأن يحامي
إلى "بلدِ الرَّغيفِ"(7) أتيتُ أسعى
أضمُّ جوانحَ الأهلِ الكرامِ
ومن أبراجِ عزَّتِها شموخٌ
(شميميسٌ)(8) وقلْ شمسُ الغرامِ
و(للا سكندرٍ) المنصورِ قولٌ
(سلاميسٌ)(9) يطيبُ بها مُقامي
(سلميا) يا نشيدَ الدَّهرِ ماذا
أقولُ وأنتِ عنوانُ السَّلامِ؟
(لقاهرةِ المعزّ)(10) غدوتِ أماً
وعشتِ العمرَ حاضرةَ الإمامِ
وحقك قد بقيتِ كتابَ روحي
فإني بعدُ لم أبلغْ فطامي
أرى عينيكِ فاتحتي ويبقى
عبيرُ هواكِ لي.. مسكَ الختامِ

---

1 - بلدةٌ جميلة تقع شرقي حماة وهي منطقة تجاور منطقة المُخَرَّم جغرافياً وتُطِلُّ جبالُ قريتي عليها من الجهة الجنوبية الشرقية.

2-3 - عين الزرقاء والشادوف وعين الخزام: أسماء ينابيع في السلمية.

4 - قناة العاشق: هي قناة ماء تصل بين السّلمية وآفاميا ويروى أنها كانت بمنزلة مَهْرٍ بين ملك السلمية وآفاميا في سهل الغاب بطول 150كم تسيل المياه فيها بالراحة.

5 - أم البلاد - بلد الرغيف: أسماء تطلق على السلمية.

6 -جبل البلعاس: جبل جميل جداً تكثر فيه أشجار البطم وهو موطن للبدو.

8 -شميميس: قلعة أثرية مجاورة للسلمية بناها شميس غرام ملك حمص.

9 - سلاميس: يقال اسمٌ أطلقه عليها الإسكندر حيث شبهها ببلدةٍ جميلة على بحر إيجه في اليونان.

10 - باني مدينة القاهرة أصلاً من السلمية.

وفد حزب «كازا باوند» الإيطالي –الجبهة الأوروبية للدفاع عن سورية يزور اتحاد الكتاب العرب

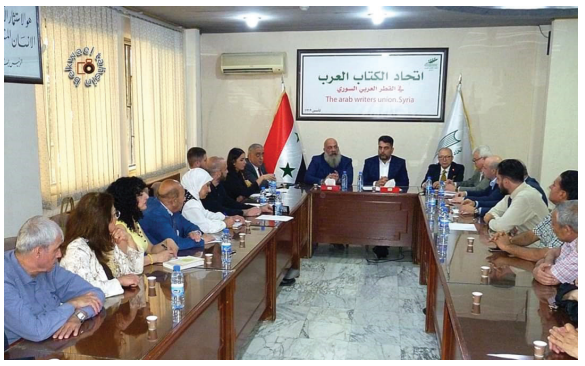

زار مبنى اتحاد الكتاب العرب ظهر الأربعاء ٢٠٢٣/٥/٢٤ وفد حزب "كازا باوند" الإيطالي - الجبهة الأوروبية للدفاع عن سورية الذي يضم رئيس الحزب جان لوكا يانوني، ونائب رئيس الحزب أندريا أنتونيني، ومسؤول العلاقات الخارجية جوفاني فيولا، ومسؤول الإعلام أندريا بوناسسا، ومسؤول المنظمات سيرجو فيلاكيوني، ومسؤول الشباب فاليريو فلاكوميا، ورئيس الجالية السورية في إيطاليا الدكتور جمال أبو عباس.

وبحفاوة كبيرة استقبل رئيس الاتحاد الدكتور محمد الحوراني والسادة أعضاء المكتب التنفيذي أعضاء الوفد، مقدمين شكرهم لحزب "كازا باوند" المدافع عن قضية سورية ليس في إيطاليا وحدها فحسب بل في أوروبا، مما عرضه للكثير من الانتقادات، فهو يناضل بشراسة لرفع العقوبات والحصار الجائر المفروض على الشعب السوري.

قدم أعضاء الوفد خلال اللقاء نبذة عن نشأة حزب "كازا باوند" وأهدافه وتوجهاته ونشاطاته السياسية والاجتماعية والرياضية، معربين عن سعادتهم بالوجود في سورية، مع شعبها الصامد المنتصر الفخور المكافح الذي يواجه ظلم الحصار والعقوبات السياسية والاقتصادية، وشددوا على ضرورة قيام الكاتب بواجبه في هذه الظروف، لأن الكاتب والفنان هما من أقدر الناس على إظهار الحقائق والانتصار لقضايا الشعوب العادلة.

وأكد السادة أعضاء الوفد أن أهمية هذه الزيارة تنبع من أهمية الدور الذي يقومون به في الدفاع عن سورية وإيصال حقيقة ما يحدث على الأرض فيها للرأي العام العالمي بعيداً عن التضليل الذي يرغب من خلاله الغرب في عزل سورية، ومن تضامنهم ووقوفهم مع أبناء الشعب السوري والقيادة السورية برئاسة السيد الرئيس بشار الأسد، مؤكدين أنهم لن يدخروا جهداً في إظهار حقيقة مساوئ الحصار الذي تعانيه سورية، ويؤثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين السوريين.

هيئة المكتب الفرعي في حماة تزور السيد المحافظ

زار السادة مصطفى صمودي ورضوان السح وعباس حيروقة أعضاء هيئة المكتب الفرعي لاتحاد الكتاب العرب السيد محافظ حماة الدكتور محمود زنبوعة.

حضر الاجتماع الرفيق اسماعيل سيفو عضو قيادة فرع حماة لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس مكتب الإعداد والثقافة والإعلام والرفيقة سناء المصري عضو المكتب التنفيذي ـــ قطاع الثقافة والزميل سامي طه عضو اتحاد الكتاب العرب ـــ مدير الثقافة في حماة.

وخلال الزيارة دعت هيئة المكتب الفرعي السيد المحافظ لزيارة فرع الاتحاد ورحّب بهذا التواصل البنّاء، كما طلب أعضاء الهيئة مساعدة المحافظة في تأمين قطعة أرض للاتحاد بالسعر المخفّض لبناء مقرّ جديد للفرع.

ووافق السيد المحافظ على تركيب ألواح طاقة شمسية لفرع حماة على نفقة المحافظة، واعداً بتأمين كشك لبيع مطبوعات الاتحاد في حماة.

لقاء مثمر ستنعكس آثاره الإيجابية على فرع حماة وأعضائه بالخير قريباً.

«مدخل إلى حرب المصطلحات– سورية وفلسطين أنموذجاً»

ضمن سلسلة الدراسات من إصدارات اتحاد الكتاب العرب لعام ٢٠٢٣، وبالتعاون مع مؤسسة أرض الشام، صدر كتاب جديد للدكتور إبراهيم ناجي علوش حمل عنوان "مدخل إلى حرب المصطلحات- سورية وفلسطين أنموذجاً".

قدّم للكتاب الدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب مشيراً إلى أنه "إذا كان الإعلام الغربي اليوم قد لعب الدور الرئيس في إذكاء حرب المصطلحات، في محاولة منه لتشكيل وعي زائف عند الشعوب المستهدفة (سواء كانت عربية أم غير ذلك) فإن الساسة الغربيين هم أول من روّج لهذا النوع الخطر من الحروب ويأتي على رأسهم "ويلسون تارجرد" رئيس الوزراء البريطاني الأسبق أثناء الحرب العالمية الثانية، إذ إن مقولته الشهيرة ما زالت حاضرة، وبقوة عند الساسة الغربيين وفي إعلامهم: "إن أول ضحية في أي حرب هي الحقيقة... هذه الحرب هي حرب المصطلحات والمفاهيم، قبل أن تكون حرباً نفسية"".

امتد الكتاب عبر توطئة وأربعة فصول هي: مدخل منهجي إلى مسألة المصطلحات وأثرها، المصطلحات في فكر الرئيس بشار الأسد، تعاريف العروبة والقومية والوطنية ومصطلحاتها، والمعركة على جبهة المصطلحات في الصراع العربي الصهيوني.

ندوة وتكريم لاتحاد الكتاب العرب في حمص

بحضور الدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب والدكتور فائق شدود أمين فرع جامعة البعث لحزب البعث العربي الاشتراكي أقام فرع حمص لاتحاد الكتاب العرب بالتعاون مع مكتب الإعداد والثقافة والإعلام في فرع الحزب بجامعة البعث اليوم الثلاثاء ٢٠٢٣/٥/٢٣ ندوة بعنوان: (التراث المادي واللامادي في حمص) بإشراف عضو المكتب التنفيذي الدكتور فاروق اسليم، حضر الندوة الزميلان عضوا المكتب التنفيذي: الأستاذ الأرقم الزعبي والدكتور جابر سليمان والدكتورة زهور عبد الهادي عضو فرع الحزب، والدكتور محمود حديد نائب رئيس جامعة البعث، وعدد من رؤساء الأقسام والأساتذة والطلاب.

تضمنت الندوة جلستين: الأولى بإدارة الدكتور أحمد دهمان (شارك فيها السادة: أ. إياد خزعل ود هايل طالب وعطية مسوح ود. جودت إبراهيم) والثانية بإدارة د نزار عبشي (شارك فيها أ. أمين رومية وأ. نزيه بدور وأ. فرحان بلبل).

افتتحت الندوة بكلمة للدكتور فائق شدود أعلى فيها شأن التفاعل بين الجامعة واتحاد الكتاب العرب واشار إلى أهمية الندوة في سياق الحفاظ على التراث اللامادي في سورية، ثم ختمت الندوة بكلمة للدكتور فاروق اسليم شكر فيها باسم الاتحاد جامعة البعث والمشاركين في الندوة وبيّن حرص اتحاد الكتاب على تمتين التفاعل الثقافي والفكري والعلمي بين اتحاد الكتاب العرب ومنظومة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية.

كما تم في بداية الندوة تكريم الفائزين في مسابقات الاتحاد المركزية لعام ٢٠٢٢ وتسليمهم دروعا تذكارية ومبالغ مادية وهم:

__ نداء حسين والتي حازت جائزة الاتحاد التشجيعية في أدب الطفل جائزة سليمان العيسى.

__ صباح العلي التي حازت المركز الأول في مسابقة اتحاد الكتاب المركزية في مجال البحوث والدراسات.

__ آلاء الدياب التي حازت المركز الثاني في مسابقة اتحاد الكتاب العرب في مجال البحوث والدراسات.

__ محمد سلمون الذي حاز المركز الثالث في مسابقة اتحاد الكتاب العرب في مجال البحوث والدراسات.

أدارت الندوة الزميلة الأديبة أميمة إبراهيم رئيسة فرع حمص لاتحاد الكتاب العرب.

موسم ثقافي متألق في فرع السويداء

بهدف تعزيز التنوع والغنى الثقافي الذي تنفرد به محافظة السويداء، وبغية إتاحة الفرصة للفعاليات الأهلية المؤثرة في المشهد الثقافي للالتقاء بجمهور جامع، دعا فرع السويداء لاتحاد الكتاب العرب إلى حفل إطلاق «صالون السويداء الثقافي»، بالتعاون مع جمعية العاديات والجمعية التاريخية وجمعية الثقافة والإبداع وملتقى القصة القصيرة جداً ومنتدى الأرجوان الثقافي ونادي (عودك رنان) الثقافي ومجموعة (حبق عتيق)، وذلك ظهر الأربعاء ٢٠٢٣/٥/١٧. تضمن حفل الافتتاح الذي حضرة جمهور رائع لمحة تعريفية بالمنتديات والجمعيات المُشاركة في إطلاق هذا الحدث، وفقرة موسيقية قدمها تلاميذ الأستاذ هشام الشويفي، وتكريم مجموعة من الشخصيات الداعمة للعمل الثقافي في المحافظة، إضافة إلى افتتاح معرض فن تشكيلي للفنان الأستاذ عامر الخطيب تضمن المعرض مجموعة من اللوحات التي تعبّر عن قيم الأصالة والتراث تؤرخ للحياة السورية عامة وتفاصيل الحياة في جبل العرب، كما قام الفنان بإهداء فرع الاتحاد لوحة من أعماله تمثل محاكاة جميلة لأعمال بيكاسو، ووزع على الحضور مطويات تضمنت تعريفاً مفصلاً بلوحات المعرض.

كما افتتح فرع السويداء بالتعاون مع مديرية التربية معرض كتاب لمنشورات اتحاد الكتاب العرب، وذلك ظهر الأحد ٢٠٢٣/٥/٢١ في صالة مسرح التربية بأسعار بيع مخفضة، وقد عمل الاتحاد على تزويد المعرض بعدد كبير ومتنوع من الإصدارات بحسومات كبيرة، مع بطاقة ملونة مع كل كتاب تحمل عبارةً عن قوة القراءة وذلك تنفيذاً لخطة طموحة يحاول اتباعها في سبيل إيصال الكتاب الورقي بسعر يراعي الظروف الاقتصادية الضاغطة ويقدم الفائدة لكل راغب بالقراءة، وإيماناً منه بأن المكان الطبيعي للكتاب هو بين أيدي القراء وليس في المستودعات.

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1821» الأحد 2023/6/4م -
15ذو القعدة1444 هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
د. خلدون الصبح

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
د. أسامة الحمود - د.نزار بريك هنيدي -
د.ماجدة حمود -
رائد خليل - هيلانة عطا الله

الإشراف الفني:
نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني
alesboa2016@hotmail.com
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
www.awu.sy
E-mail : alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كلمة أخيرة

كتبها: توفيق أحمد

يُومِئُ عُصْفوراكِ

لماذا أنتِ حَبيسةُ صناديقَ
لا خارطةَ إنسانيةً لها؟
عِلْماً أنه على شطوطِكِ ترسو مناراتٌ
يبدو لي أنَّ الله العظيمَ
خَلقَكِ مُفَصَّلةً على مقاييسِ الهناء واللذائذ
وبحجم الأحلام الخلاّبة لمشاوير العُشَّاق
وبلهيبٍ لا يمكنُ تفسيرُهُ
إلاّ أنَّهُ نوعٌ من التعبُّد
في مداراتِ الحُبِّ النبيل
لَمْ أَرَ ما يُجْنَحُ إليه كصدرِكِ
يومئُ عصفوراكِ
فينبعثُ بخورٌ في الأمكنةِ
كثيراً ما احْتَضَنْتُ حطامَهُما المُخادِعَ
على شَغَبٍ وتحدّي شفاهي
أَغيبُ فيهما فيكبُرانِ سنةً باليوم
وبعد كُلِّ هذا
مِنْ أينَ لي بحيازةِ أكْبرِ حاضِنَتَيْنِ
لا أُريدُ اكْتسابَ شرفِ المحاولةِ
بِأَنْ أُغْلِقَ نافذتي
على حمامةٍ تسكنُ فيها
حيثُ لا قُدْرةَ ولا رغبةَ لي
باغتيالِ أيِّ صوتٍ
يَنْشُرُ مِنْ صَداهُ
أنهاراً من السعادات..
لا يهمنا مَنْ يُحَدِّدُ حَجْم خطئنا أو صوابِنا
طالما أننا الغيومُ المنسكبةُ على الوجع
والأفكارُ الواضحةُ الأُولى في كُلِّ كتاب
وطالما أننا تَدَفُّقاتُ ضوءٍ
تُجيبُ على كُلِّ الأسئلةِ المعقّدةِ
حيث تتتالى المواقيتُ
يَنْسَكِبُ ضوءُ العُنُقِ
مَرْهماً على جراحِ الوالهينَ
وحيث التوحُّدُ والتماهي الأَعَمُّ
يُصبحُ الأَضْيَقَ الأَخَصَّ
عاشقان يَختاران اندماجَ المصير
وكُلَّ الزوابعِ التي تُطَوِّقُ الخَصْرَيْن
وكُلَّ قناديل الجَسَد

تندلع النيرانُ
ولا تبحثُ عن استراحاتٍ لها في الغابةِ
نيرانٌ طائشةٌ فاقدةٌ لأيةِ حكمة
إذا أَوْقَدْتُ شمعةً في طريقي إليها
تُوحي بالثمنِ المقابل..
إنها هنا تَرى ما لا أرى
اقْتَرَحْتُ وقْتاً لهَجْرها
فَتَداخَلَ معي الزمنُ بالزمن
وكُلَّما أَبْعَدْتُ صورتَها عن طيوفي
يعانقني حنينُها
كأَنَّهُ دمٌ للحياةِ لا بُدَّ مِنْهُ
لا يَهُمُّ..
فأنا مُتَواطئٌ مع الغَرَق
في بَحْرِ سيّدةٍ صارخةِ الجَمال
خارقةٍ في لياقتها ولباقتِها وأناقتِها
وقدِ اسْتطاعَتْ بطقوسها، وكُحْلِ عينيها
وضفافِ أُقحوانِها
وصفصافِ حروفِها
وقناعاتِ حكمتِها
استطاعت أن تُغيِّرَ المفاهيمَ البائسةَ
لتحليل عوالمِ المرأة..
لقد أَوْقَدَتْ مِنْ أغانيها
لَظًى جديداً متوالِداً في حقولي
وجَعَلَتْ من قامتي رماداً يعيش بعد حين
من أجلِ إعلاء رايةِ الحُبّ..
يا كَمْ رأيْتُ على خطوطِ يديها
أقماراً من الرغبات
وفي ثيابِها تَختبئُ أكثرُ من حَوَّاء
أَصْبَحَتْ ألوانُ كتاباتي
بِلونِ كُحْلِ عينيها
تلك القابعةُ في الخاصرةِ الشماليةِ للمدينة
تَمشي على ساقَيْها الورودُ
فَيَنْبَعِثُ نسيمٌ يَلْفَحُ وجْهَ المَدى
هي وحدَها الآن
تَعْبُرُ عُبابي وأنوائي
وتستقرُّ حبيبةً على ضفاف الروح...